

## التأثيرات الخارجية في مظاهر حضارة الممالك الوطنية المغاربية 220 -46 ق.م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر أكاديمي التاريخ

تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

إشراف الاستاذ:

د. عمر بوصبيح

إعداد الطلبة:

عبد الكريم مسعودي

سيف الدين مسعودي

وهيبة دادي

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2024/06/10

أمام اللجنة المكونة من الاساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اللجنة
رئيسا	جامعة الشهيد حمة لخضر	أستاذ مساعد	المثرد السعيد
مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمة لخضر	أستاذ محاضراً	بوصبيح عمر
ممتحنا	جامعة الشهيد حمة لخضر	أستاذ محاضراً	العمودي التجاني

السنة الجامعية : 2024 /2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

نحن الطلبة المشاركون في اعداد هاته المذكرة نقدم هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين  
وجميع أفراد العائلة وجميع الاصدقاء والزملاء وإلى كل اساتذتنا في قسم التاريخ

## الشكر والتقدير

إلى جميع اساتذة التاريخ عموماً والتاريخ القديم بالخصوص الذين استفدنا منهم الكثير في مشوارنا الدراسي الجامعي ونخص كذلك الاستاذ المشرف الذين منحنا عنوان البحث ورافقنا بتوجيهاته وارشاداته وحرصه المستمر طيلة عملية البحث وكذلك كل من قدم لنا يد المساعدة دون استثناء.

قائمة المختصرات:

Trd : Traduction: ترجمة

Vol : Volume: المجلد

N° : Numéro : عدد المجلة

T : Tome : جزء

Rev. Afr: Revue Africaine: المجلة الإفريقية

Ant. Afr : Antiquité Africaine: افريقيا في العصر القديم

E. B : Encyclopédie berbère : الموسوعة البربرية

الفهرس

..... شكر وتقدير
..... الإهداء
..... الملخص
..... فهرس الصور
..... مقدمة
<b>الفصل التمهيدي : لمحة تاريخية حول نشأة و ظهور الممالك المحلية</b>
2..... تمهيد:
2..... المبحث الأول : الممالك الوطنية في المصادر الكلاسيكية
3..... المطلب الأول : المصادر الإغريقية
6..... المطلب الثاني:المصادر اللاتينية
8..... المبحث الثاني : التطور التاريخي للممالك المحلية
10..... المطلب الأول : مملكة نوميديا الغربية أو (المازيسيل):
12..... المطلب الثاني : مملكة نوميديا الشرقية (الماسيل - Massyle):
15..... المطلب الثالث : المملكة المورين(موريتانيا)
<b>الفصل الأول : المظهر السياسي والعسكري وتأثره بالكيانات المجاور</b>
19..... تمهيد:
19..... المبحث الأول: المظهر السياسي والأنظمة الإدارية والمالية:
19..... المطلب الأول:نظام الحكم وانتقاله :
22..... المطلب الثاني: الأنظمة الإدارية:
24..... المطلب الثالث:الأنظمة المالية:
28..... المبحث الثاني:تنظيم الجيش والعتاد الحربي والفنون القتالية:
28..... المطلب الأول:الجيش وأنواعه:
34..... المطلب الثاني:العتاد الحربي:
<b>الفصل الثاني:التأثيرات البونية والأفريقية في المجتمعات المغاربية وأنظمتها الإقتصادية</b>
44..... تمهيد:

45	المبحث الأول: المكونات الاجتماعية
45	المطلب الأول: سكان المدن والحضر
47	المطلب الثاني: سكان الأرياف
48	المطلب الثالث: القبائل المتنقلة
<b>51</b>	<b>المبحث الثاني: الأنظمة الاقتصادية</b>
52	المطلب الأول: الزراعة
55	المطلب الثاني: الصناعة
57	المطلب الثالث: التجارة
59	خلاصة:
<b>الفصل الثالث: البصمات الخارجية في الحياة الدينية والفكرية المغاربية والفنية</b>	
62	تمهيد:
<b>63</b>	<b>المبحث الأول: الحياة الدينية</b>
63	المطلب الأول: الآلهة والمعبودات
64	المطلب الثاني: المعابد والكهنوت
65	المطلب الثالث: الطقوس النذرية والجنائزية
<b>66</b>	<b>المبحث الثاني: الحياة الفكرية والفنية</b>
66	المطلب الأول: اللغة والكتابة
68	المطلب الثاني: العمارة والفنون
76	الخاتمة
68	المراجع و المصادر
86	الملخص:



## مقدمة:

لعب المغرب القديم دور محوري ومهم في المنطقة بتنوع خيرات وأراضيه الخصبة التي كانت محل اطماع خارجية، وهدفا للتنافس الخارجي لبسط النفوذ والسيادة على المنطقة ككل، ومن خلال الكتابات الأدبية القديمة التي تؤرخ للصراع الدائر بين روما وقرطاجة (الحرب البونية الثانية) ونتيجة لذلك برزت الممالك الوطنية ومنجزاتها الحضارية في كتابات القدامى.

وهو ما تشير إليه أغلب النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية وكذا المعطيات المادية أن بلاد المغرب القديم في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد ظهرت بها ثلاثة ممالك، تمثلت في مملكتي نوميديا بقسيمها: مملكة الماسيل في الشرق، ومملكة المازيسيل في الغرب بالإضافة إلى المملكة المورية الواقعة في أقصى غرب بلاد المغرب، والملاحظ أن بروز هذه الممالك على الساحة التاريخية كان في فترة حرجة وبالتحديد أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، ميزها الصراع الذي احتدم بين قرطاجة سيده قوى البحر الأبيض المتوسط وروما القوة الناشئة التي تبحث عن موضع قدم في الفضاء المتوسطي.

تتسم حقبة الممالك الوطنية بالغموض، وذلك لقلّة الكتابات التي تناولت تاريخ هذه الممالك وتعمقت في جذور هذه الأنظمة السياسية بمعزل عن مجريات الصراع القرطاجي الروماني والأزمات الرومانية، ونأسف كثيرا على إهمال الكتاب القدامى لتحديد التأثيرات الخارجية في مظاهر حضارة الممالك الوطنية، إذ لم يتحدثوا عن الجانب السياسي إلا في جزئه المتعلق والمتربط بتاريخهم.

فالمغاربة تنبوا أنظمة الغير في الإدارة وحتى في أسلوب وطرق المعيشة، وإن كان هذا ما ذهبت إليه الدراسات الحديثة فلأنها لم تجد في النصوص القديمة تحليلا لحياة هذه الشعوب قبل ارتباط تاريخها بتاريخ القادمين الأجانب، ومن الفترات المهمة في تاريخنا القديم حقبة الممالك الوطنية النوميديّة والمورية وتأثرها بالحضارات المجاورة في مظاهرها الحضارية.

## 1- الإطار الزمني والمكاني:

ينحصر الإطار الزمني لهذه الدراسة التي تعنى بالتأثيرات الخارجية في مظاهر حضارة الممالك الوطنية ما بين (220-46 قبل الميلاد)، حيث يمثل تاريخ 220 ق.م التاريخ التقريبي لظهور الكيانات السياسية النوميديّة والمورية في الكتابات الكلاسيكية وذلك بعد الفترة التي سبقت الحرب البونية الثانية وما لفها من غموض يكتنف الممالك الوطنية-، وحسب المقاربات التاريخية وترجيحات الباحثين المعاصرين أن هذا التاريخ هو بداية تدوين أخبار ملوك نوميديا وبروز الملك غايا والد ماسينيسا ملك الماسيل، وكذلك سيفاقس ملك المازيسيل كحليفين بارزين في الصراع الروماني القرطاجي، أما تاريخ 46 ق.م فهو حدث معلوم في المصادر الأدبية والبقايا المادية، وهو يمثل سقوط نوميديا وتحويلها إلى مقاطعة رومانية على يد يوليوس قيصر، ثم يعود الكتاب القدامى إلى السكوت عن المنطقة وتعود أخبار المنطقة للدخول في عالم الغموض مرة أخرى ولا تذكر إلا بإشارات عابرة.

أما الإطار المكاني فهو مملكتي نوميديا الشرقية والغربية - الماسيل والمازيسيل - ، ومملكة موريطانيا حيث تمتد هذه الممالك من المحيط الأطلسي غربا حتى وادي أمبساغا شرقا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا حتى شمال جبال الأطلس التلي في الجزائر الحالية، والأطلس الأوسط في المغرب الأقصى، وأطراف من جنوب شرق تونس الحالية .

## 2- اسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي جعلتنا نختار الموضوع هي:

\_\_الرغبة في التعرف أكثر على تاريخنا الوطني القديم، والإلمام أكثر بالمسار الحضاري للممالك المحلية، جزء من الهوية المغاربية، والإرث الحضاري للمنطقة.

\_\_إبراز التأثيرات الخارجية في الميادين الحضارية للممالك مع تسليط الضوء على البصمات الخارجية في أهم الجوانب الحضارية للممالك، وبهذا يتم التعرف على مختلف التفاعلات الحضارية التي حظيت بها المنطقة في سيرورتها الحضارية.

\_\_عدم تناول الموضوع وإعطائه حقه في المصادر الأجنبية، لذا أردنا تسليط الضوء ودراسة هذا الجانب برؤية ونظرة أبناء المنطقة..

## 3- الإشكالية المطروحة:

● فيما تجسدت التأثيرات الخارجية في مظاهر حضارة الممالك الوطنية ما بين (220 - 46 ق م)؟

ولإثراء الإشكالية المطروحة طرحنا عدة تساؤلات جزئية:

-كيف كان التطور التاريخي للممالك المحلية؟

-ما هي أهم التأثيرات السياسية والعسكرية الخارجية سواء البعيدة أو القريبة على هذه الكيانات المحلية ؟

-إلى أي مدى ساهم التأثير البوني والاغريقي في المجتمع المغاربي ونظامه الاقتصادي؟ وأين تركت

البصمات الخارجية أثرها في الحياة الدينية والفكرية والفنية المغاربية؟

## 4- خطة البحث:

للإجابة على إشكالية الدراسة وتساؤلاتها الفرعية لذلك فقد احتوى البحث على مقدمة وفصل

تمهيدي وثلاثة فصول:

تناول الفصل التمهيدي لمحة عن نشأة وتطور الممالك المحلية في مبحثين إثنين الممالك الوطنية في

المصادر الكلاسيكية الاغريقية واللاتينية ثم التطور التاريخي للممالك المحلية.

فيما إشتمل الفصل الأول على المظهر السياسي والعسكري وتأثره بالكيانات المجاورة فيه مبحثين

يدرسان المظهر السياسي والأنظمة الادارية والمالية وتنظيم الجيش والعتاد الحربي والفنون القتالية.

أما الفصل الثاني فقد خصص للتأثيرات البونية والاغريقية في المجتمعات المغربية وانشطتها الاقتصادية

والمكونات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية. ب

وقد صمم الفصل الثالث لدراسة البصمات الخارجية في الحياة الدينية والفكرية والفنية المغاربية في مبحثين الحياة الدينية، بالإضافة إلى الحياة الفكرية والفنية.

#### 5- المناهج المتبعة:

استخدمنا المنهج التاريخي الوصفي لأنه الأنسب لنقل الأحداث ووصف التأثيرات والتعليق عليها، بالإضافة إلى المنهج التاريخي المقارن للاستدلال بما جاء في المصادر القديمة والدراسات المعاصرة، وكذلك استعنا بالمنهج التاريخي التحليلي في المواطن التي تستدعي التحليل والتعليل.

#### 6- صعوبات البحث:

من الصعوبات التي واجهتنا قلة المصادر التي تتحدث عن الموضوع بدقة، رغم أن حضارة الممالك الوطنية تأثرت وأثرت في الحضارات المجاورة، وأخذت منها الجانب السياسي وأنماط الجيوش والديانات والعمران، وبعض الفنون وإضفاء عليها الصبغة المحلية.

#### 7- أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

من أجل لم شتات هذا الموضوع اعتمدنا في دراستنا على جملة من المصادر والمراجع، نذكر أهمها؛ بالنسبة للمصادر، فقد جاء كتاب هيرودوت المؤرخ والجغرافي الرحالة الإغريقي الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، الموسوم بـ"التاريخ" حيث يحتوي الكتاب الرابع على معلومات ومعارف جغرافية حول موقع وحدود بلاد المغرب القديم أو كما يسميها الإغريق ليبيا، وكذلك كتاب التاريخ الطبيعي لصاحبة المؤرخ والجغرافي الروماني بليبي الكبير الذي عاش في القرن الأول للميلاد، وقد خصص الكتاب الخامس من موسوعته الجغرافية لبلاد المغرب القديم (إفريقيا الرومانية)، أولى أهمية لجغرافية بلاد المغرب القديم وسواحله وحدود مملكه في الفترة التي تسبق الاحتلال الروماني، أما كتاب سالوست "حرب يوغرطة"، وعلى الرغم من أن المؤلف يسلط الضوء على واحدة من أهم الحروب التي خاضها الرومان ضد نوميديا، لكنه تطرق إلى جانب من الجغرافية التاريخية للمنطقة وهو أكثر الكتاب القدامى إحتكاكا بها، فقد تم تعيينه حاكما على نوميديا بعد سقوطها على يد قيصر في 46 ق.م.

أما المراجع أو الدراسات الحديثة التي تعنى بموضوع الدراسة لا يمكن تجاهل تاريخ شمال إفريقيا القديم (Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord) لصاحبه المؤرخ الفرنسي ستيفان جزال (Stéphane Gsell) خاصة الجزء الرابع الذي خصصه للجغرافية الطبيعية والبشرية لبلاد المغرب القديم.

أما الأقلام المحلية التي ساهمت في كتابة تاريخ المغرب القديم فقد تمت تم الاستفادة من كتابات المؤرخ الجزائري محمد الهادي حارش خاصة كتاب "التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري" حيث يتناول الكتاب تاريخ الممالك الوطنية من النشأة إلى غاية سقوطها في يد الرومان، و"كتاب دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة" يعالج فيه عدة مواضيع منفردة حول تاريخ

المنطقة، كالكتابة الليبية القديمة، وكذلك أيضا "كتاب مملكة نوميديا دراسة حضارية" الذي أسهب في وصف وتحليل المظاهر الحضارية للمملكة النوميديّة بكل تفاصيلها وجزئياتها. ومن الأقالام التونسية محمد حسين فنظر في عمل مشترك مع المؤرخ الفرنسي فرونسا دوكريه الموسوم بـ: "شمال إفريقيا في القديم" "L'Afrique du nord dans l'antiquité" الذي يشتمل على عدة مواضيع وآراء حول نشأة الممالك الوطنية وملوكها منذ ظهورها في المصادر الأدبية القديمة وحتى أفولها.

## الفصل التمهيدي:

لمحة تاريخية حول نشأة

وظهور الممالك المحلية

## تمهيد:

يعتبر تاريخ الممالك الوطنية من أهم الفصول في تاريخ البشرية، فهو يعكس الطموحات والتطلعات الإنسانية نحو بناء هويات وطنية قوية ومستقلة، ويتجلى تأثير العوامل الخارجية على هذه الممالك في تشكيلها وتطورها، سواء كانت هذه العوامل جغرافية أو ثقافية أو سياسية.

لفهم جذور الممالك الوطنية وتأثير العوامل الخارجية عليها، ينبغي لنا النظر إلى المصادر الكلاسيكية التي وثقت تلك الفترة الزمنية الحيوية في تاريخ الإنسانية، ويعود الرجوع إلى تلك المصادر الكلاسيكية، سواء الاغريقية أو اللاتينية، إلى أهميتها الكبيرة في توثيق الأحداث والظواهر التاريخية في تلك الحقبة.

في هذا الفصل، سنبحر في عوالم الممالك الوطنية عبر الزمن، بداية من الجغرافيا التي شكلت خلفية مهمة لظهور تلك الممالك، وسنركز أولاً على الجغرافية القديمة لبلاد المغرب، كما وثقها عدد من المؤرخين والجغرافيين الكبار مثل هيروdotه Herodote، سترابون Strabon، بلين الكبير Plin l'Ancion وسالوست Salluste، وغيرهم، وكذلك الجغرافية الحديثة التي تلقي الضوء على تلك الفترة بنظرة معاصرة.

ثم، سنتقل إلى استكشاف التطور التاريخي للممالك المحلية في المنطقة، من خلال دراسة حالات عدة مثل مملكة الماسيل Massyles ومملكة الماسيسيل Massæsyles والمملكة المورية Maures. كما سنحاول فهم كيف تأثرت هذه الممالك بالظروف الخارجية، سواء كانت بسبب الغزوات أو التبادل التجاري أو التأثيرات الثقافية القادمة من الحضارات المجاورة.

بهذه الطريقة، سنتمكن من الحصول على رؤية شاملة وعميقة لكيفية تأثير العوامل الخارجية على مظاهر حضارة الممالك الوطنية، وكيف نجحت تلك الممالك في التأقلم مع هذه العوامل وتطورت ونمت على أساسها.

## المبحث الأول: الممالك الوطنية في المصادر الكلاسيكية

يعتبر فهم الأصول والتطورات التاريخية للممالك الوطنية من خلال المصادر الكلاسيكية أمراً ذو أهمية بالغة. فالمصادر الكلاسيكية تمثل مرآة للعصور القديمة، تعكس التفاعلات السياسية والثقافية والاقتصادية التي ساهمت في بروز وتطور الممالك الوطنية.

يتيح لنا الاطلاع على كتابات المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين مثل هيروdotه، سترابون، بلين الكبير، سالوست، بطليموس، وغيرهم، فرصة فريدة لفهم المفاهيم الأساسية والتحويلات التي شهدتها الممالك الوطنية في فترات مختلفة من التاريخ.

سنبداً في هذا المحور بالتركيز على المصادر الاغريقية، التي توفر لنا نظرة شاملة عن الممالك الوطنية ومظاهرها المختلفة من خلال عيون المفكرين والمؤرخين الاغريق، ثم سنتقل إلى المصادر اللاتينية لاستكشاف تفاعلاتها وتأثيراتها على المفاهيم الوطنية والتاريخية.

من خلال هذا الاستقراء، سنسعى إلى فهم كيفية تأثير المصادر الكلاسيكية في بناء صورة شاملة عن الممالك الوطنية، وكيف تعكس هذه المصادر الثقافة والتاريخ والجغرافيا والسياسة التي شكلت حضارتنا القديمة.

## المطلب الأول: المصادر الإغريقية

## ➤ الموقع الجغرافي:

بلاد المغرب القديم، كما وصفها هيروdot، تشكل إحدى الأراضي الهامة التي تقع بين القارتين الأفريقية والآسيوية، وتمتد من غرب مصر حتى رأس سوليس. في وصفه لهذه المنطقة، قسم هيروdot بلاد المغرب القديم إلى ثلاثة أقاليم رئيسية، ما يعكس تنوعها الجغرافي والثقافي:

## الأول: الإقليم الساحلي

الذي يمتد على طول الشريط الساحلي الذي يطل على بحر ليبيا، ويتميز بانتشار القبائل الليبية. يقسم هذا الإقليم إلى منطقتين رئيسيتين:

• المنطقة الشرقية: تمتد من نهر النيل حتى نهر التريتون غرباً، وتتميز بسواحل رملية منخفضة تكون موطناً لقبائل البدو.

• المنطقة الغربية: تمتد من التريتون شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وتعتبر منطقة جبلية تزخر غاباتها بالحيوانات الضارية، وتكون موطناً لليبيين المزارعين.

هذا التقسيم الجغرافي يعكس الاختلافات الطبيعية والثقافية في بلاد المغرب القديم، ويشير إلى التنوع البيئي والحضري الذي كانت تشهده هذه المنطقة في تلك الحقبة الزمنية. إضافة إلى ذلك، فإن هذا الوصف يوضح الأهمية الاستراتيجية للمنطقة الساحلية كمركز لتبادل التجارة والثقافة بين الشعوب الليبية والثقافات الأخرى المجاورة.<sup>1</sup> أما المنطقة الغربية فتمتد من التريتون شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وهي موطن لليبيين المزارعين، وتعتبر منطقة جبلية تزخر غاباتها بالحيوانات الضارية<sup>2</sup>.

الثاني، الإقليم الداخلي الذي يُعتبر إمتداداً لمواطن القبائل الليبية الساحلية، ويتمشى مع الإقليم الساحلي.

والثالث، الإقليم الصحراوي الذي يُعتبر منطقة ذات مناخ قاسٍ، تغطيه الكثبان الرملية، وتعيش فيه القبائل بظروف صعبة.

بالتالي، يتفق هيروdot مع معظم النصوص القديمة بأن حدود لوبة تتسع كلما توجهنا جنوباً، حيث تنتشر الحيوانات المفترسة، وتشكل شريطاً يمثل منطقة صحراوية بجوار الأطلس<sup>3</sup>.

وفي كتابه السابع عشر، قدم سترابون وصفاً جغرافياً للوبة، حيث أشار إلى أن مساحتها تتجاوز بكثير ما ورد في المصادر السابقة. فتمتد بين الإسكندرية شمالاً وميرو، عاصمة إثيوبيا، جنوباً، على مسافة تبلغ حوالي 10 آلاف ستاديوم. وتقع على حدود المنطقة المشتركة بين المنطقة المحروقة والأرض المأهولة. ويمكننا حساب مسافة تبلغ 3000

<sup>1</sup> - علوات محمد، "جغرافية ليبيا القديمة عند سترابون و بطليموس"، مجلة آراء و أبحاث في التاريخ والآثار القديمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص 101

- 102

<sup>2</sup> - علوات محمد، المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - Hérodote, Histoires, trad. P. Larcher, Paris, 1980, IV, 151.

ستاديوم، وبذلك يُقدر أقصى امتداد جغرافي طولي للوبة بحوالي 13000 ستاديوم. ومع ذلك، فإننا لا نستطيع تحديد بدقة كامل المساحة<sup>1</sup>.

سترابون يطلق على ليبيا اسم "اليفي" ويصفها كمنطقة تأتي بعد آسيا في مساحتها، ويأخذ شكل مثلث قائم<sup>2</sup>. ويقسمها إلى ثلاث مناطق:

● المنطقة الأولى: وهي منطقة خصبة تتاخم الحدود القرطاجية حتى موريطانيا وأعمدة هرقل.

● المنطقة الثانية: تمتد على طول المحيط وهي أقل خصوبة من الأولى.

● المنطقة الثالثة: تتوسط المنطقة الخصبة والصحراوية، وهي لا تنبت إلا السلفيوم<sup>3</sup>.

يضيف سترابون أن ليبيا كثيرة الخلجان والتنوعات والألسن البحرية. في وصفه للخليج بين السرت الصغرى والسرت الكبرى، يلاحظ أن السواحل الشرقية لليبيا ضحلة غير عميقة، مما يتسبب في اصطدام السفن بالشواطئ خلال فترات المد والجزر، ولكنه لا يشير إلى أي تفاصيل حول سواحل الأطلس<sup>4</sup>.

أما فيما يتعلق بالظروف المناخية، يقدم سترابون وصفًا دقيقًا يشير إلى التباين الكبير بين المنطقة الشمالية الساحلية والجنوبية الصحراوية، ويرجع هذا التباين إلى موقعها الجغرافي. فالقسم الشمالي الغربي من ليبيا يسوده المناخ الرطب الذي يؤثر على استيطان البشر، في حين يتميز الجزء الجنوبي الغربي برياح قوية وضباب كثيف. أما الجزء الجنوبي فهو جاف وحرار للغاية<sup>5</sup>.

بلين الكبير يصف لوبة كمنطقة محصورة بين الحدود الغربية لمصر والمحيط الأطلسي<sup>6</sup>. تضم هذه المنطقة خليج السرت والتريتون وأعمدة هرقل<sup>7</sup>. وكان الإغريق يُسمون إفريقيا ليبيا، ويُطلقون على البحر الذي يحدها اسم البحر الليبي. تمتد أقصى حدودها إلى مصر، وتتميز سواحلها بخط منحني متصل يبدأ من الغرب، وتعتبر منطقة قليلة الخلجان<sup>8</sup>. وقد أشار سالوست إلا أنها "بلا موانئ"<sup>9</sup>. أما سترابون، فقد أشار إلى أن الساحل الليبي يشكل مع نهر النيل زاوية المثلث القائم<sup>10</sup>. وتتميز أسماء شعوب لوبة ومدنها، وفقًا لبلين، بكثرة الأسماء بأي بلد آخر، ويُصعب نطقها على الأجانب<sup>11</sup>، وفي وصفه لنوميديا، التي يُعرفها الإغريق بأرض ميتاغونيس، يشير بلين إلى أن النوميديين كانوا يُدعون نوماد لأنهم كانوا يغيرون مواقع رعيهم وينقلون مبالهم على العربات، وينتهي نهر توسكا حدود نوميديا،

<sup>1</sup> -Strabon, Géographie, T3 – la Libye- trad., Par Amédée Tardieu, Librairie Hachette, Paris, XVII.,

<sup>2</sup> - علوات محمد، المرجع السابق، ص 101.

<sup>3</sup> -Strabon, op.cit, XVII, 2

<sup>4</sup> - محمد علوات، المرجع السابق، ص 102

<sup>5</sup> - نفسه، ص 103

<sup>6</sup> - Pline L'ancien, Histoire Naturelle, trad. J.Désanges, Paris, 1980, I, 2.

<sup>7</sup> - Ibid

<sup>8</sup> - Pline, op.cit, I, 1.

<sup>9</sup> - Salluste, Guerre de Jugurtha , trad par : Charles du rozier et Yves Germain, éd Paléo, Paris, 2003, XVII .

<sup>10</sup> - Strabon , op.cit, XVII ,1 , 3.

<sup>11</sup> - Pline, loc.cit.

ويتميز هذا الإقليم بالخرف النوميدي والحيوانات المفترسة التي تزخر بها، ومن توسكا تبدأ منطقة زوجيطانيا، التي تُعرف بإفريقيا.<sup>1</sup>

وفي وصفه الجغرافي للمنطقة، يُشير سالوست إلى أن إفريقيا تتميز بالحرارة الشديدة والصحاري، وتعتبر إفريقيا الجزء الثالث من العالم، ولكن بعض الكتاب يقسمون العالم إلى قسمين فقط وهما آسيا وأوروبا، ويُلقون إفريقيا بأوروبا من الغرب المضيق الذي يربط بالمحيط، وفي قسمها الشرقي تمتد هضبة كاتا بالموس، أما فيما يتعلق بالظروف المناخية، فيُشير إلى أن أرضها مناسبة للزراعة وتربية الحيوانات، وأن السماء بها مداراة<sup>2</sup>

### ➤ أصل التسمية والسكان:

#### أ - أصل السكان:

تعتبر المصادر الأدبية والبقايا الأثرية والأنتروبولوجية من الموارد الأساسية التي تساعد الباحثين على استكشاف أصل سكان المغرب القديم. لذا، يجب العودة إلى المصادر اليونانية مثل هيرودوت لفهم أصول السكان في تلك المنطقة. في كتابه الثاني، أشار هيرودوت إلى القبائل التي سكنت بلاد المغرب القديم، حيث وصف وجود قبائل ليبية على طول المنطقة باستثناء الأجزاء التي كانت تحت سيطرة الإغريق والفينيقيين<sup>3</sup>. وفي كتابه الرابع، أورد هيرودوت أن هناك أربعة أمم تسكن المنطقة، اثنتان منها هي الأصلية واثنتان غير أصلية، حيث ورد ذكر الليبيين في الشمال والإثيوبيين في الجنوب<sup>4</sup>، بينما استقر الفينيقيون والإغريق في المنطقة لاحقاً. وأكدت بعض الأبحاث المعاصرة مثل: وحدة السكان الإثنية في شمال إفريقيا، حيث وصفت المنطقة الساحلية الممتدة إلى رأس سوليس باعتبارها أرض الليبيين<sup>5</sup>. هيرودوت صنف الليبيين إلى ليبيين رعاة متنقلين وليبيين مزارعين ساكني البيوت، وذكر بعض القبائل التي ينتمون إليها ومواطن انتشارهم في المنطقة، مما يسلط الضوء على التنوع الثقافي والاجتماعي لسكان المغرب القديم.<sup>6</sup>

#### ب - تنوع التركيبة البشرية :

بفضل تنوع التركيبة البشرية، ظهرت عدة تسميات للقبائل والمناطق التي يسكنها السكان، سواء بواسطة الرومان الذين أطلقوا تسميات لتعيين تلك القبائل والمناطق، أو استمراراً للتسميات التي ورثوها عن الإغريق. تشمل هذه التسميات:

- **المور:** يعود أصل هذه التسمية إلى المور الذين أشار إليهم ساليست في وصفه للسكان الأوائل لإفريقيا<sup>7</sup>. اشتقت هذه التسمية لاحقاً في العصور اللاحقة كلمة "موريزيا" في اللغة اليونانية.<sup>8</sup> يذكر سترابون أن السكان المحليين يسمون

<sup>1</sup> - Pline, op.cit II, 1 ; III, 1.

<sup>2</sup> - Salluste, Guerre de Jugurtha ,t.1,trad.G.Walter,paris,1968,I, p 22.

<sup>3</sup> - Ibid, II, 32

<sup>4</sup> - Herodote, IV, 197.

<sup>5</sup> - Ibid, IV, 180.

<sup>6</sup> - Ibid, II, 32,

<sup>7</sup> - عبد الرحمان خلفه، الديانة الوثنية المغاربية القديمة من النشأة الى سقوط قرطاج سنة 146ق.م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم.

قسنطينة، 2007-2008، ص 15

<sup>8</sup> - Salluste, op.cit, XVIII

أنفسهم "ماوري"، بينما يطلق عليهم الإغريق اسم "المورزيين". كان المصطلح يُستخدم في مراحل لاحقة أيضاً ليشمل جميع سكان إفريقيا. بالإضافة إلى ذلك، أشار بلين إلى وجود قبيلة رئيسية تُعرف باسم "ماوري" في موريطانيا الطنجية، التي تخضع للتقلبات الحربية وتحولت إلى عشيرة صغيرة في وقت لاحق، بعد ذلك تم استبدالها بالجيتول.<sup>1</sup> موريطانيا: تعني كلمة "موريطانيا" أو "موريزيا" بالأصل "الغرب" في اللغة الفينيقية. وفقاً لكامبس، فإنها مشتقة من الكلمة السامية "ماهوريم"، وبذلك حدد سترابون وبومبونيوس ميلا موقع تمرکز المور في أقصى غرب ليبيا. وقد وضع تيت ليف بلاد المور غرب المازيسيل، محددًا الموقع بجوار قرطاجنة. وتقول الأقوال على لسان الملك يوخوس إن واد الملوية يشكل الحد الفاصل بين بلاد المور وأقاليم مملكة مكيسا إلى المحيط الأطلسي.<sup>2</sup> التفسيرات اللغوية والتاريخية تقدم رؤى مختلفة حول أصل بعض التسميات التي استخدمت للإشارة إلى سكان بلاد المغرب القديم:

- **تامورت**: تقترح بعض الدراسات أن كلمة "تامورت" قد اشتقت من اللغة الأمازيغية وتعني "الأرض". بينما يعتقد آخرون، مثل رين فيرد، أن أصل هذه الكلمة يعود إلى "Our" الموجودة في اسم جبل عمور، مما يعني أن كلمة "مور" تشير إلى الجبال أو السكان الذين استقروا في المنطقة.<sup>3</sup>
- **النوميديون**: ظهرت أول إشارة إلى النوميديين عندما وردت كصيغة "نوماداس" للإشارة إلى البدو من قبل هيرودوت. في القرن الثالث قبل الميلاد، بدأت كلمة "نوميديا" تستخدم جغرافياً لتحديد المنطقة الشرقية من قرطاجنة إلى واد الملوية. واشتهرت السكان بالنوميديين.<sup>4</sup>
- **الجيتول**: يُعد الجيتول الشعب الثالث الذي يعمر إفريقيا الشمالية. كانت قبائل الجيتول تنتشر من الهضاب العليا إلى الصحراء جنوب موريطانيا، ومن المحيط الأطلسي إلى فزان. يعتقد البعض أنهم كانوا يشكلون خطراً على المستعمرات الرومانية وكانوا معروفين بممارسة الرعي.<sup>5</sup>

### المطلب الثاني: المصادر اللاتينية

#### ➤ الموقع الجغرافي :

- بطليموس يقسم ليبيا إلى خمسة أقاليم فرعية، وهي:
- مافريتانيا تينغيتاني، والتي تعرف أيضاً بموريطانيا الطنجية.
- مافريتانيا كايبارينسيا، والتي تُعرف أيضاً بموريطانيا القيصرية.
- نوميديا أفريكا (إفريقيا)
- كيريناكي (قوريناية)

<sup>1</sup> - Camps G., Camps. Gabriel, Massinissa ou les débuts de l'histoire: aux origines de la berbère, Arts et métiers graphiques, Paris, 1960, p181.

<sup>2</sup> - Ibid, pp 181-182.

<sup>3</sup> - Rinn L., Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha, Rev. Afr, 29, 1885, pp 242-243

<sup>4</sup> - شنيقي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 في م - 40م)، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 163.

<sup>5</sup> - Polybe, Histoire romaine, trad M. Nicard, J, J, Duboucher, Paris, 1941, XXIII, 18

• مارماريكي، وهي المنطقة الحالية لليبيا<sup>1</sup>.  
 • تحد هذه الأقاليم جنوباً إثيوبيا القديمة. وقد ذكر أسماء أغلب الوديان في المنطقة، مثل نهر خولمات (شلف) وكينويس (كعام). وكان لعدد الأودية المنتشرة عبر سواحل المتوسط تأثير مباشر في ازدهارها وزيادة عدد سكانها.<sup>2</sup> وفقاً لعلم الجغرافيا الحديث، تقع منطقة المغرب القديم في شمال القارة الإفريقية، ويظهر شكلها الرباعي الغير منتظم على الخريطة. يتميز الحد الشمالي لهذا الرباعي بجمال الأطلس<sup>3</sup>، والتي تمتد بين خطوط الطول 18° و 38° شمالاً، وبين خطوط العرض 25° شرقاً و 17° غرباً، مما يمنحها موقعاً استراتيجياً ويجعلها تتبع الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. كما أنها متصلة بالحوض الشرقي من خلال سواحل بلاد المغرب الشرقية، وتشكل حلقة وصل بين ضفتي المتوسط والقارة الإفريقية.<sup>4</sup>

التضاريس في بلاد المغرب بقسمين رئيسيين، القسم الشمالي والقسم الجنوبي. ينقسم الجزء الشمالي إلى سلسلتين تلية وصحراوية تمتدان عبر بلاد المغرب من الغرب إلى الشرق، مع وجود سهول ساحلية مثل مجردة والسهول الجزائرية-المغربية، إلى جانب هضاب داخلية مثل هضبة الزينة والهضاب العليا الجزائرية. أما القسم الجنوبي، فهو صحراء تمتد من ليبيا شرقاً حتى المغرب الأقصى وموريطانيا غرباً، حيث تغطي سطحها الكثبان الرملية والحصى. يُلاحظ أن الصحراء لم تكن تشكل جزءاً من المغرب القديم، بل كانت كياناً حضارياً مختلفاً لها خصائصها المميزة.<sup>5</sup>

بناءً على التضاريس المتنوعة والاختلافات في المناخ والغطاء النباتي في منطقة المغرب القديم، كانت هناك صعوبة في الاتصال بين مختلف أقاليمها. لقد أثر وجود الصحراء بشكل خاص في تعقيد عملية الاتصال والتواصل بين هذه الأقاليم. وكان لهذا الواقع تأثير ملموس على طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث شهدت المنطقة ازدواجية في نمط الحياة بين السكان البدو والسكان الحضريين.

### ➤ أصل التسمية و السكان :

في المصادر الرومانية، ذكر سكان بلاد المغرب بواسطة سالوست، حيث أشار إلى أن الليبيين والجيتول والمور والنوماد كانوا السكان الأوائل لإفريقيا. ثم أضاف أنهم تداخلوا مع بقايا جيش هرقل المؤلف من ميديين و فرس وأ زمن<sup>6</sup>. لكن شارل أندري جوليان ينفي هذه الرواية، مؤكداً أنها لا تمت للحقيقة بصلة<sup>7</sup>. بالإضافة إلى ذلك، يشير الأستاذ محمد حارث إلى قبول اقتراح قزال الذي حاول تقريب Persae الواردة عند ساليست من peror أو pharusi الذي

1 - كلاوديوس بطليموس، جغرافية ليبيا ومصر، تر محمد المبروك الدويب، دار العلم، القاهرة، 2003، ص 25

2 - محمد علوات، المرجع السابق، ص 102

3 - شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983م، ص 12

4 - حارث محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، ط أ دار هومة، الجزائر 2001، ص 28.

5 - المغرب الكبير (العصور القديمة أسسها التاريخية و الحضارية و السياسية) ج 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 52. انظر ايضا Decret , F., Fantar

,MH.,1982, L'Afrique du nord dans l'antiquité, paris, p 14.

6 - Salluste, op.cit, XVII, 1-12.

7 - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 71

كانت أراضيهم على السواحل الأطلسية في المغرب الحالي.<sup>1</sup> وأيضاً، ينفي جوليان رواية بروكوب التي تزعم وقوع هجرة فينيقية بعد دخول العبرانيين إلى بلاد الشام، معتبراً أنها لا تحمل قيمة تاريخية. هناك من ربط سكان بلاد المغرب الذين ذكرهم سالوست بمعطيات أنتروبولوجية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث يتمثلون في اثنتين من السلالات: الإنسان المشتي العربي في الشمال بين التل والبحر المتوسط، والإنسان القفصي الذي استوطن القسم القاري الداخلي والذي أصبح فيما بعد مسكناً لقبائل الجيتول. ومع ذلك، يشير حارث إلى أن التركيبة الأساسية لسكان المغرب تنتمي في الواقع إلى العمق الأمازيغي القديم الذي كان موجوداً في المنطقة منذ ما قبل التاريخ، والذي استمر في التأثير والإثراء بواسطة المساهمات الإثنية والثقافية. في الجانب الإثني، لم تكن المساهمة كبيرة واندجت في العنصر البربري الغالب، أما ثقافياً فكانت المساهمة أكثر نشاطاً وتأثيراً دون إلغاء الهوية الأمازيغية.<sup>2</sup>

### المبحث الثاني: التطور التاريخي للممالك المحلية

لا تتوفر لنا المصادر التاريخية الكافية التي تؤكد بدقة دخول بلاد المغرب إلى التاريخ، أو وجود كيان سياسي متكامل الشروط قبل ظهور قرطاجة. ومع ذلك، هناك مصادر كتابية وأثرية تذكر أسماء عدد من المجموعات القبلية في تعداد شعوب شمال إفريقيا القديمة قبل الاحتلال الروماني. تشير هذه الأسماء إلى وجود مجموعات قبلية تمتلك روابط تقاليدية وعادات محكمة. تبرز من بين هذه المجموعات النوميدي. وقد وُردت نوميديا في كتابات المؤرخين القدماء بأسماء متعددة تختلف في تسميتها بين المصادر الإغريقية واللاتينية، وكما ذكرنا سابقاً، ففي المصادر الإغريقية، كان اسم نوميديا يُستخدم كاسم وصفي يشير إلى نمط الحياة البدوية والرحل، ثم تطورت التسمية لتشير إلى الشعوب التي كانت تعيش في شمال إفريقيا، وعُرفوا عند المصريين باسم "اللوبيين"، وعند هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد كرحالة ومزارعين. وأورد الكتاب الإغريقيون عبارة "نوماداس"، مثل هيكاكي وتيمايوس وسترابون الذي عزا السبب في كونهم رحالة إلى كثرة الوحوش الضارية. وقام الرومان بتثبيت التسمية ومنحها معنى سياسياً.<sup>3</sup>

تذكر مصادر تاريخية مثل فديودور الصقلي أن قوماً عاشوا في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد في جزء كبير من ليبيا حتى الصحراء<sup>4</sup>، بينما يحدد بومبونيوس ميلا امتدادها من نهر الملوشا إلى المراق Ampasaze<sup>5</sup>. بدوره، أطلق تسمية "نوميديا" على سكان شمال إفريقيا بشكل عام، من ليبيا حتى المغرب الأقصى. وتشير بعض المراجع الأخرى إلى أن نوميديا امتدت إلى لمساعا غرباً،<sup>6</sup> ومن خلال المقارنة بين المصادر، يظهر أن حدودها تقلصت عندما أدرجت المملكة المور، ولكن بعد ذلك، اقتصر على المنطقة بين قرطاجة شرقاً ومملكة موريطانيا غرباً.<sup>7</sup>

1 - حارث محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري - منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992، ص 27.

2 - حارث محمد الهادي، المرجع السابق، ص 33.

3 - شنيقي محمد البشير، نوميديا الشعب و المملكة في الجزائر النوميدي، متحف سيرتا، 2007، ص 45

4 - Diodore de Sicile, bibliothèque Historique, XX, trad. par A. F. Miot, paris, 1934, 55, 4.

5 - Pomponius Méla, Géographie, trad. M, Louis Purosoir, Panckoucke, paris, 1865, I, 6.

6 - Camps, G., 2003, « javelot », EB, XXV, Aix- en -Provence, p.054

7- Camps G., Les numides et la civilisation punique, dans Anti. Afr., 1979, p44.

عندما نشأت مملكتي الماسيل والمازيسيل، أطلق المؤرخون الإغريق والرومان على ملوك المنطقة اسم "ملوك نوميديا". بعد أن قضى ماسينيسا على سيفاكس، أطلقت المنطقة التي امتدت من طبرقة شرقاً حتى نهر الملوية اسم "نوميديا". يشير الباحث كامبس إلى أن النوميديين كانوا ضحية للكتاب الإغريق الذين أخلطوا اسمهم بصفة رحالة، لكن هناك آثار مادية تشير إلى أن كلمة "نوميد" لها أصل عرقي، كما في اسم مدينة خميسة القديمة، Thubursicu Numidarum، حيث تُظهر كلمة "Numidarum" الجمع أصلاً عرقياً.<sup>1</sup>

يؤكد الباحث كامبس على أن تسمية "نوميد" لها أصل محلي، ويقدم دليلاً على استمرار وجود القبائل في العصر الروماني ووجود شعب النومادي في موريطانيا حتى الآن<sup>2</sup>. ونجد في قائمة الأساقفة في محاضرة قرطاجة لعام 411م بموريطانيا القيصرية اسم أحد الأساقفة وهو Numidia، ويشير إلى أن هذا الاسم هو الكنية بالتأكيد، حيث أن الاسم المعبر عن الشخص اتخذ صفة عرقية كما هو الحال هنا، كانت الكمية في الفترة القديمة، سواء جسدية أو روحية.<sup>3</sup>

وفي دراستها لنوع المساكن التي كان يقطنها سكان نوميديا، خلصت فرحاتي إلى أن كل من فرجيل، Tite Live، بومبونيوس ميلا، بلين، و Tacito، أشاروا إلى "ماباليا" وهي مساكن مستطيلة الشكل وأحياناً دائرية تميل جوانبها لتشكيل السقف، وتخص الرعاة المتنقلين. ويذكر هيرودوت أن مساكن الرعاة الرحل الليبيين كانت مصنوعة من "الأسفود الوس"، وذكر ديودور ذلك كاسم لقبيلة. ويعتقد المؤرخون المعاصرون مثل قزال ولكور أن الماباليا أو النواله كما سموها تشبه الأكواخ، بينما يعتقد باس أنها مساكن الزراع المستقرين وعمال المدن الفقراء.<sup>4</sup>

يتم ذكر كلمة "ملك"، والتي تعني التنظيم السياسي أو ما شابه ذلك، ثلاث مرات في النصوص القديمة قبل الحرب البونية الأولى. ففي سياق القرن الثامن قبل الميلاد، ذكر جوستين أن حيرباص كان ملك الماكسيثاني مع بداية تأسيس قرطاج سنة 814 ق.م.<sup>5</sup> ثم في القرن الرابع قبل الميلاد، يذكر Justim ملك موري الذي استنجد به القائد القرطاجي "حانون" عام 360 ق.م للقيام بانقلاب ضد الحكم في قرطاجة.<sup>6</sup>

تشير هذه الإشارات إلى أنه في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، قد شهدت بلاد المغرب المجاورة لقرطاجة تطورات سياسية، بدليل ما ذكره المؤرخ ديودور الصقلي من وجود ملك نوميديا يدعى ايليماس مع القائد الإغريقي "أغاتوكليس" الذي غزا السواحل القرطاجية عام 310 ق.م.<sup>7</sup> ومع ذلك، فإن اعتماد هذه الإشارة كدليل على وجود مملكة مغربية مكتملة الشروط يبدو صعباً، ولكنها تشير إلى النضج السياسي والوعي الوطني، مما يهدف إلى الحد من توسعات القرطاجيين وطردهم من المنطقة.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - مهتل جهيدة، النوميديون ضحية المصادر القديمة مجلة آراء وأبحاث في التاريخ والآثار القديمة، مؤسسة كوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 109

<sup>2</sup> - Camps G., Op - cit, p 160.

<sup>3</sup> - فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق م 46 ق م، منشورات أليك عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 109.

<sup>4</sup> - نفسه ص 23

<sup>5</sup> - شنيبي محمد البشير، سياسة الرومنة، ص 19

<sup>6</sup> - فرحاتي فتيحة المرجع السابق، ص 44

<sup>7</sup> - Diodore de Sicile, op-cit, XVII, 3, 15.

<sup>8</sup> - شنيبي محمد البشير، المرجع السابق، ص 18.

تبدأ النصوص القديمة في ذكر النوميدي بهذا الاسم منذ القرن الثالث قبل الميلاد، حيث يتم تصويرهم كشعب وقوة سياسية تبسط سيادتها على منطقة واسعة تمتد من حدود قرطاج شرقاً إلى وادي ملوية غرباً. يُذكر أيضاً أن الجغرافي سترابون يشير إلى النوميديين في عدة فقرات،<sup>1</sup> ويعتقد أن التسمية "نوماداس" تستخدم لوصف جزء من سكان المنطقة الذين استمدوا اسمهم من نمط حياتهم المتنقلة وصراعهم مع الحيوانات المفترسة. ويُذكر في تقارير أخرى أن النوميديين كانوا يميلون إلى السطو واللصوصية دون توقف، مما يظهر تنوعاً في نمط الحياة والسلوك السياسي للمنطقة.<sup>2</sup>

تشير البيانات إلى أن نمط حياة النوميديين كان متشابهاً بشكل عام مع حياة الشعوب والأمم الأخرى فيما يتعلق بالمساكن واللباس وسبل كسب العيش. ومع ذلك، تطوروا عبر الزمن وفقاً لظروف النمو والتطور، وتأثروا بالتفاعل مع الثقافات المختلفة، بدءاً من التأثير الإغريقي وصولاً إلى التأثير الفينيقي ثم الروماني. ومع ذلك، يظل من الصعب وضع صورة دقيقة للكيان السياسي للمملكة النوميديّة في مراحلها الأولى، إذ كانت تتمثل بشكل رئيسي في صورة تنافس بين التكتلات القبلية، وكانت أبرز هذه التكتلات هي قبائل المازيسيل والماسيل.

قبائل المازيسيل كانت توجد في منطقة الغرب الجزائري الحالي، بينما كانت قبائل الماسيل تمتد إلى الشرق الجزائري وشمال تونس باستثناء الأراضي التي كانت تحت سيطرة الدولة القرطاجية.<sup>3</sup> يمكن القول إن الدولة النوميديّة قد تكونت تاريخياً من تلك القبائل، ولم تكن هناك حدود محددة بينهما، بل كانت تتغير بحسب التحالفات والصراعات. ولفهم الوضع بشكل أكبر، سننظر إلى النوميديين ككيانين مستقلين، مع التركيز على قبائل المازيسيل والماسيل على حدة.

#### المطلب الأول: مملكة نوميديا الغربية أو (المازيسيل):

يعتبر تاريخ مملكة نوميديا الغربية، المعروفة أيضاً بالمازيسيل، موضوعاً محورياً في دراسات العصور القديمة للمنطقة. فتقديم المصادر التاريخية القديمة للقبائل المازيسيلية يقتصر بشكل رئيسي على فترة منتصف القرن الثالث قبل الميلاد. يُعزى ظهور هذه القبائل كقوة مهمة في بلاد المغرب القديم إلى الظروف والتحويلات التي شهدتها المنطقة في ذلك الزمن، وتحديدًا في إطار الصراع الدائر بين قرطاج وروما.

من الصعب تحديد النطاق الجغرافي لمملكة المازيسيل بدقة، إذ يتطلب ذلك دراسة دقيقة لتمرکز القبائل التي شكلت هذه المملكة. ومع ذلك، يُشير البعض إلى أن لفظ "مازيسيل" كان مُستخدمًا للإشارة إلى قبيلة متواجدة في شمال إفريقيا منذ العصور القديمة.

تدعم هذه الفرضية الأدلة الأثرية، حيث تم العثور على نقش في منطقة موريطانيا يحمل اسم "Masassilen"، مما يدل على وجود شخص يُدعى بهذا الاسم والذي يُعتقد أنه يعود للفظ الليبي القديم للشكل المفرد.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - Diodore de Sicile, op.cit, XX, 55, 4.

<sup>2</sup> - Polybe, op cit, III, 23, 2.

<sup>3</sup> - غانم محمد الصغير، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص 53.

<sup>4</sup> - فرحاني فتيحة، المرجع السابق، ص 111

يقوم تأسيس المملكة المازيسيلية على سلسلة من الافتراضات التاريخية المستندة إلى البيانات المتاحة. يُعتقد أن بدايات هذه المملكة تعود إلى قبيلة عاشت في منطقة تُعرف لاحقاً باسم موريطانيا الطنجية. ترتبط نشأة هذه المملكة بسلسلة من الحروب مع قبائل الجدالة، مما دفع هذه القبيلة إلى التنقل نحو الشرق واستقرارها في منطقة ما بين حدود نهر الملوية غرباً والأمبساغا شرقاً.<sup>1</sup> وبهذا النحو، شكلت هذه القبيلة الأساسية التي لعبت دوراً مهماً في تشكيل الشعوب التي انتقلت نحو الغرب.

ذكر هذه الفرضيات في كتابات المؤرخ جوليان، حيث يُشير إلى تأثير هذه القبيلة الأساسية ودورها في تاريخ المنطقة. كما يشير كل من بلين وبطليموس إلى أسماء قبائل المازيسيل خلال الفترة الرومانية في موريطانيا القيصرية، مما يُظهر أهمية هذه القبيلة وتأثيرها المستمر في الساحة السياسية والاجتماعية للمنطقة.<sup>2</sup>

أولى الإشارات التاريخية الموثوقة التي تصلنا حول مملكة المازيسيل تعود إلى نحو عام 213 قبل الميلاد. يُذكر بوليب أن القرطاجيين كانوا يحافظون على علاقة صداقة قوية مع ملكهم سيفاكس، وكانت قبيلة المازيسيل جزءاً مهماً من جيش قرطاج في المعارك التي دارت في إسبانيا وبلاد المغرب القديم.<sup>3</sup> من جهة أخرى، يشير بلين إلى أن نهر الملوشة كان يفصل بين مملكة بوخوس ومملكة المازيسيل، فيما تتراوح حدود المملكة شرقاً حتى رأس التريتون، حيث يُقدر طولها بحوالي 6000 ستاديوم<sup>4</sup>، وتمتد غرباً حتى رأس ميتاغونيوم. ورغم عدم وجود معلومات دقيقة حول حدودها الجنوبية، إلا أنه من المعروف أنها تتقاطع مع قبائل الجيتول.

يتفق تيت ليف مع بلين في تصوير بلاد المازيسيل بجوار قبائل تتواجه مع منطقة قرطاجنة في إسبانيا<sup>5</sup>، مما يُظهر التداخل والتلازم الاجتماعي والثقافي في المنطقة. ويلاحظ أيضاً أن حدود الممالك النوميديّة كانت تتأثر بالتوازنات السياسية والعوامل القوية والضعيفة التي تسود الساحة السياسية في تلك الحقبة.

وفقاً للمؤرخ والباحث الفرنسي غابريال كامبس، فإن قبائل المازيسيل كانت تتوزع جغرافياً في منطقة تمتد من قبائل الماسيل شرقاً إلى القبائل المورية غرباً، مغطياً بذلك مساحة الوسط الجزائري بشكل كامل. ومع ذلك، فإن حدودها الشرقية والغربية غير واضحة بوضوح.<sup>6</sup>

يطرح كامبس تساؤلاً مهماً حول انتقال هذه القبيلة من الغرب إلى الشرق، ويتساءل عما إذا كان ذلك الانتقال هو نتيجة لهدف محدد. وفي هذا السياق<sup>7</sup>، يُذكر أن المصادر القديمة وصفت مملكة المازيسيل بأنها منطقة مزدهرة ومستثمرة بشكل متميز. على سبيل المثال، يُذكر المؤرخ سترابون أن بعض سكان المازيسيل كانوا يعيشون في أراضٍ تنتج محاصيلها مرتين في العام، حيث كان طول ساق نبات القمح يصل إلى مترين و20 سم، وكان سمك الحبة يبلغ

<sup>1</sup> -Gsell St, Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, T. V, Librairie Hachette, Paris, 1927, p 96.

<sup>2</sup> -Pline, op.cit, V, 17.52. ; Ptolémée, op.cit, IV, 2. 5

<sup>3</sup> -Polybe, op.cit, III, 32.15.

<sup>4</sup> -Pline , op.cit, V, 19.

<sup>5</sup> -Tite Live, Histoire Romaine, trad. E. Lasserre , Paris, 1949, XVII, 9

<sup>6</sup> -Camps G., Op - cit, p165.

<sup>7</sup> -Ibid, pp. 166-167

حوالي سمك الأصبع الصغير، وكان إنتاج الحبة يصل إلى 240 للحنة الواحدة. كما كانوا يكتفون بكشط الأرض في الربيع دون بذرها، حيث كانت الحبوب التي تتساقط خلال الحصاد كافية لإنتاج محصول كامل في الصيف.<sup>1</sup> يشير المؤرخ تيت ليف إلى أن كانت عاصمة لسيفاقس في عام 203 قبل الميلاد،<sup>2</sup> وي طرح جابريال كامبس تساؤلًا حول تاريخ ضم سيرنا إلى مملكة المازيسيل. هل جاء هذا الانضمام خلال النزاع بين الأمراء الماسيل، حيث استفاد سيفاقس من الفرصة لدعم انتصار كابوسا واعتلاء عرش الماسيل؟<sup>3</sup> أم كانت سيرنا جزءًا من الأقاليم المازيسيلية منذ وقت سابق؟ يلاحظ الباحث قزال تأييد الاحتمال الثاني، استنادًا إلى تصريحات تيت ليف.

بالمقابل، يرفض كامبس هذا الاحتمال، معتبرًا أن كانت خارج نطاق الأقاليم المازيسيلية قبل أن يتم ضمها، بناءً على عدة اعتبارات، منها الاختلافات الواضحة في التقاليد الجنائزية وأنماط الدفن التي ظهرت في غرب. كما يُشير إلى وجود روابط قوية دائمة بين وروسيكادا، والتي أسست لاحقًا الكنفدرالية السرتية مع ميلاف وشولو، والتي يؤكد كامبس أنها لم تكن بتدبير الرومان.<sup>4</sup> يُضيف محمد عقون أن كانت تقع شرق رأس بوقرعون، وقد وجدت الفرق المصاحبة للأكومازن الأمان خلال مطاردة ماسينيسا له في روسيكادا، ورغم استيلاء ماسينيسا على روسيكادا دون تدخل سيفاقس، إلا أن موقعها الشرقي عن القل يوحى بتبعيةها لمملكة الماسيلية.<sup>5</sup>

تُذكر شخصية الملك سيفاقس، الذي حكم نوميديا الغربية، بأنه كان يتمتع بالرزانة وتفوق العقل على العاطفة في كثير من الأحيان، وكانت أسماؤه تذكر في النصوص القديمة عند كل من تيت ليف وبوليب.<sup>6</sup> وقد سعى هذا الملك إلى تقليد المؤسسات الدستورية القرطاجية لتطبيقها في مملكته، بالإضافة إلى إضفاء الطابع الهلنستي على أمور الحياة اليومية.<sup>7</sup>

بعد توحيد النوميديتين وطرد ماسينيسا لفترة من الزمن، قام الملك بتطبيق نظام اللامركزية في تنظيم الإدارة في مملكته. حيث جعل العاصمتين، سيقا، تسيران على يد موظفين ساميين محليين، بالإضافة إلى وجود مجالس شبه قبلية ورجال دين، وكذلك ضرائب وضباط في الجيش، ويُشترط في تعيينهم الولاء للملك والولاية الرئيسيين.<sup>8</sup>

### المطلب الثاني : مملكة نوميديا الشرقية (الماسيل - Massyle):

في مملكة نوميديا الشرقية، المعروفة أيضًا بمملكة الماسيل (Massyle)، لم تُوضح المصادر التاريخية بشكل واضح هوية القبائل الماسيلية. وفيما يتعلق بالنطاق الجغرافي لمملكة الماسيل، يُعتبر تحديده أمرًا صعبًا أيضًا. فالإشارات إليها في الكتابات القديمة قليلة، ولم تتناول النقوش والعملة المجال الجغرافي الذي كانت تعيش فيه تلك القبائل بوضوح.

<sup>1</sup> -Strabon, op.cit, XVII, 3, 9

<sup>2</sup> -Tite Live, op.cit, XVII, 10-11.

<sup>3</sup> -Gsell St. Op . cit, pp 97-98.

<sup>4</sup> -Camps G., Op - cit , pp. 166-168.

<sup>5</sup> - محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، من 178.

<sup>6</sup> -Tite Live, op.cit, XXXVIII, 18, 7 ; Polybe, op.cit, XI, 24

<sup>7</sup> -Dahmani S., Les Royaumes Numides, (L'Algérie au temps des Royaumes Numides Ve siècle av. J-C – 1er siècle AP. J-C), Smogy éditions d' Art, Paris, 2003. P124.

<sup>8</sup> -Tite Live, op.cit, XXVIII, 17.

وأول ذكر لهذه المملكة يعود إلى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد. يُفترض أن بلاد الماسيل تشمل شمال شرق الجزائر وشمال تونس باستثناء الأماكن التي كانت تحت سيطرة الدولة القرطاجية<sup>1</sup>.

كانت الحدود الأولى لهم غير محددة وغير مراقبة، حتى بعد تأسيس النواة الأولى للمملكة الماسيلية، حيث مرت بمرحلة قبلية قبل أن تنتقل إلى التنظيم السياسي في شكله الملكي.

أول توثيق لهذه المملكة جاء من المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي، الذي نقل تاريخها عندما غزا ملك سيراغوزة أغانوكليس لبلاد المغرب القديم وحاول تدمير قرطاج. في البداية، تحالف مع ملك لويي يُدعى إيليماس، والذي كانت عاصمته دوقة<sup>2</sup>.

في مملكة نوميديا الشرقية، المعروفة أيضًا بالماسيل (Massyle)، يُذكر جابريال كامبس وجود الأسرة الملكية الماسيلية خلال حملة أغانوكليس في عام 310 قبل الميلاد. يشير كامبس إلى أن الملك إيليماس كان يمارس سلطته على هذه المنطقة، كما يُضيف أنه تم العثور على ملك يُدعى Massilon، منافس لماسينيسا وكابوسا، والذي لا ينتمي إلى نفس سلالة النسب التي ينتمي إليها الأخيران. يشير كامبس إلى احتمالية وجود سلف مشترك لهما قد يعود لعدة أجيال سابقة<sup>3</sup>.

يُذكر توضيح موقع الماسيل بالقرب من أعمدة هرقل<sup>4</sup>، في حين يُدرجه بلين ضمن القبائل الإفريقية التي تنتشر في أميساجة (Ampsaga) حتى سرت (Syrtes)، وينظم ترتيبهم الجغرافي بدءًا من قبائل التابوتس القفسياتاني، وينتهي بالنيكيفاس<sup>5</sup>.

استنادًا إلى توزيع القبائل التي تشكل الماسيل، يُظهر أنها تغطي الجزء الشرقي من شمال شرق الجزائر وغرب تونس، باستثناء الأماكن التي كانت تخضع لسلطة الدولة القرطاجية. ومع ذلك، فإن الحدود لم تُحدد بدقة، ويُشير كامبس إلى أن ثراء المنطقة السرية بالمعالم الميغاليثية يدعم فرضية وجود تعمير بشري بجوار جبل فورتناس سيلا، حيث تم العثور على معالم ضخمة تضم منحوتات لزعماء نوميديين، مما يوحي بأن قوة الماسيل نشأت في سيرتا<sup>6</sup>.

من جهة أخرى، يثير قزال الاستفسار حول مدى صحة فكرة أن الأوراس كان مهدًا للأسرة الماسيلية، مشيرًا إلى ضريح المدراس وكونه موطنًا للقبائل النوميديية الجيتولية وقاعدة خلفية للمقاومة عبر التاريخ، وبناءً على وجود معسكر لامبيس خلال الفترة الرومانية، مما يدل على وجود مقاومة شرسة في تلك المنطقة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> -Decret F., Fantar M., op - cit, p99.

<sup>2</sup> - شنيقي محمد البشير، المرجع السابق، ص 18

<sup>3</sup> -Camps G., Op - cit, p305.

<sup>4</sup> - فرحاني فتيحة، المرجع السابق، ص 75.

<sup>5</sup> -Pline, op.cit, V, 30, 31.

<sup>6</sup> -Camps G., Op - cit, pp. 176-177.

<sup>7</sup> -Gsell S., op.cit, T.,V, p100.

ويُذكر في النص المزدوج البونيقي عن ماسينيسا الذي كان يُلقب بشوفيت وعن دوقة التي تمتلك نظامًا نوميديًا بدلاً من بونيقياً، وتُظهر بعض الدراسات أن وجود ضريح الخروب بنواحي سيرتا، إلى جانب ضريح المدراس بنواحي الأوراس، قد يشير إلى أصول هذه العائلة في تلك المنطقة<sup>1</sup>.

وذكرت مدينة توبريسكو نوميدي بين مدينتي هيون وتيفيست، إلا أن لا دليل مقنع يثبت أنها الموطن الأصلي للماسيل<sup>2</sup>. يُشير كامبس إلى أن هذه المدينة، التي تفتخر بأصولها النوميديّة، قد تلقت اهتمامًا من العائلة الحاكمة، ولكن الإهداءات البسيطة للملك لا تكفي<sup>3</sup>.

بالنسبة للنقوش، فإن موقع قبائل الناتبوتاس يقع غرب موقع قبائل توبريسكو نوميدي، مما يعني أن قبائل الماسيل تتمركز بين السوبربوراس وموقع النيكيفاس. يُذكر أن السوبربوراس يقع غرب سيرتا، بينما يقع النيكيفاس شرقها. ترى فرحاتي أن وجود مدينة المسيلة في منطقة الحضنة يثير بعض الاهتمام<sup>4</sup>.

وبناءً على ذلك، فقد اعتُبر رأس تريتون معلماً لنهاية الحدود الشرقية لقبائل المازيسيل، بينما يُعتبر الموقع نفسه معلماً لبداية الحدود الغربية لقبائل الماسيل. وبالتالي، تتراوح قبائل الماسيل بين أملاك الدولة القرطاجية شرقاً، وقبائل المازيسيل غرباً، وأراضي الجيتول جنوباً. وحدد ديزانج مناطق تواجد قبائل الماسيل في سيرتا ومحيطها شرقاً، وصولاً إلى خليج السرت في ليبيا الحالية<sup>5</sup>. ويُشير نص تيجيسيس الذي يعود إلى منتصف القرن الأول الميلادي إلى أن أراضي الساباربار والريجاني والنسيف تقع في المناطق المحيطة بسيرتا.

يضيف بطليموس، في إضافة إلى القبائل المذكورة في نص تيجيسيس، قبيلتي الهاليارديس والسيتافويدوس استقرتا في سهل سطيف، والذي يمتد من جبال إلى مرتفعات باتنة.

وقد تحدد موقع تلك القبائل خلال الفترة البيزنطية بالقرب من نقاوس، الذي يبدو أنه استلهم من قبائل التسيف التي كانت تقيم في المنطقة<sup>6</sup>.

وفيما يتعلق بمملكة المازيسيل، يُذكر بواسطة كامبس أنها لم تتمكن من الاستمرار بعد فشل السياسة الإفريقية التي اتبعتها سيفاكس، بينما خرجت الماسيل بأمان من تلك المحنة، حيث تم ضمها إلى المازيسيل بين عامي 205 و 203 قبل الميلاد<sup>7</sup>. يطرح كامبس تساؤلاً حول أسباب نجاح الماسيل، هل يعود ذلك إلى شخصية مسينيسا القوية أم إلى المساعدة الرومانية؟ كما يُشير إلى أن الماسيل في فترات سابقة لم يكن لديهم القوة والروابط القوية التي تسمح لهم بمقاومة جيرانهم القرطاجيين والمازيسيليين بثقة في تحقيق النصر<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> -Ibid, p 178.

<sup>2</sup> -Lacroix M.F., L'Afrique ancienne, Rer. Afr., N°.14, 1870, pp. 12-43

<sup>3</sup> -Camps G., Massinissa..., p221.

<sup>4</sup> -فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 76-78

<sup>5</sup> -Desanges J., Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nile dans l'antiquité classique, Dakar, 1962, p. 237.

<sup>6</sup> -Lancel S., Suburbures et Nicives, une inscription de Tigisis, in libyca, archéologieépigraphie, T.III, 1955, pp. 289- 298.

<sup>7</sup> - Camps G., Op – cit, p 181.

<sup>8</sup> - Ibid, pp 233-223.

## المطلب الثالث : المملكة المورين (موريطانيا)

في تاريخ المملكة المورية، تظل المعلومات محدودة وقليلة الإشارات في المصادر القديمة، مما يجعل فهمها وتفسيرها أمرًا. يعود هذا القليل من المعرفة إلى القرن الثالث قبل الميلاد، حيث تشير بعض المصادر كليفوس إلى وجود ملك موري يُعرف باسم باكا. ومن هنا يظهر لنا أن بوكوس لم يكن أول من ذكره في السجلات التاريخية.

تبدأ الإشارات المحدودة حول المملكة المورية من الإشارة التي ظهرت في زمن ليفيوس، ومن ثم تذكرها بعض المصادر الأخرى مثل سالوست كأول ملك موري معروف عند الرومان. وهذا يُعتبر تضاربًا، حيث يذكر سالوست في القرن الأول قبل الميلاد أن الرومان كانوا جهلة بكل شيء يتعلق بالمورين حتى زمن بوكوس الأول.<sup>1</sup>

هذا التضارب في المصادر يعكس الصعوبات التي تواجهنا في تفسير تاريخ المملكة المورية، ويشير إلى الحاجة إلى دراسات أكثر عمقًا وتحليلًا لفهم الظروف التي أحاطت بتلك الفترة التاريخية المهمة. إن فهم ماضي المملكة المورية يعتبر جزءًا أساسيًا من فهم تطور الحضارات في المنطقة، ويمكن أن يساهم بشكل كبير في توسيع معرفتنا بالتاريخ الإنساني ككل.

بعد توضيح أصول الممالك الوطنية القديمة وتحديد مجالها، يُثير هذا السؤال: كيف كان شكل النظام السياسي في تلك الممالك؟

في فهم أصول النظام الملكي في المغرب القديم، يتطلب منا التفكير بعناصر الصراع والتنافس التي كانت حاضرة بين القبائل أو التجمعات القبلية في تلك الحقبة الزمنية الهامة. كانت تلك الفترة مشهدًا لتبادل القوى والصراعات، حيث كانت القبيلة الأكثر قوة تسعى إلى السيطرة على باقي القبائل.<sup>2</sup>

تحديد السيطرة في هذا السياق كان يعتمد على اعتراف مجموع القبائل بقوة القبيلة المسيطرة وزعيمها. فعندما تفقد القبيلة المسيطرة قوتها، ينهار النظام الملكي بسهولة، مما يكشف عن هشاشة هذا النظام وغياب المؤسسات والهيكل المركزية. وبالتالي، يكون من الواضح أن القبيلة المسيطرة تسعى جاهدة لتنظيم الشؤون الداخلية وتعزيز سلطتها، لضمان استمرارية الحكم والاستقرار.<sup>3</sup>

تُعزز سلطة القبيلة المسيطرة عادةً من خلال دعائم خارجية، تكون أحيانًا متمثلة في التحالفات القبلية أو العلاقات الدبلوماسية مع القبائل الأخرى أو حتى بالاستفادة من التجارة والتبادل الثقافي. تعكس هذه العناصر الخارجية جهود القبيلة المسيطرة لتعزيز قوتها وتثبيت سيطرتها على الأراضي والموارد والسكان.

بهذه الطريقة، يظهر لنا كيف أن تشكيل النظام الملكي في المغرب القديم كان متأثرًا بشكل كبير بالديناميات الداخلية للقبائل والتحالفات الخارجية، وكيف كانت تلك العوامل تتحكم في استقراره وثباته على المدى الطويل.

وتسعى الملوك إلى تقوية ملكيتهم وتحديد نطاق سلطتهم، حيث يركز بعضهم على النشاط الفلاحي وجهود الملوك الذاتية لتنظيم سلطتهم، بينما يركز آخرون على التأثير الهلنستي.

<sup>1</sup> -Polybe, Histoire, trad.D.Roussel, paris,1970.

<sup>2</sup> -Salluste, Guerre de Jugurtha,t.1,trad.G.Walter,paris,1968.

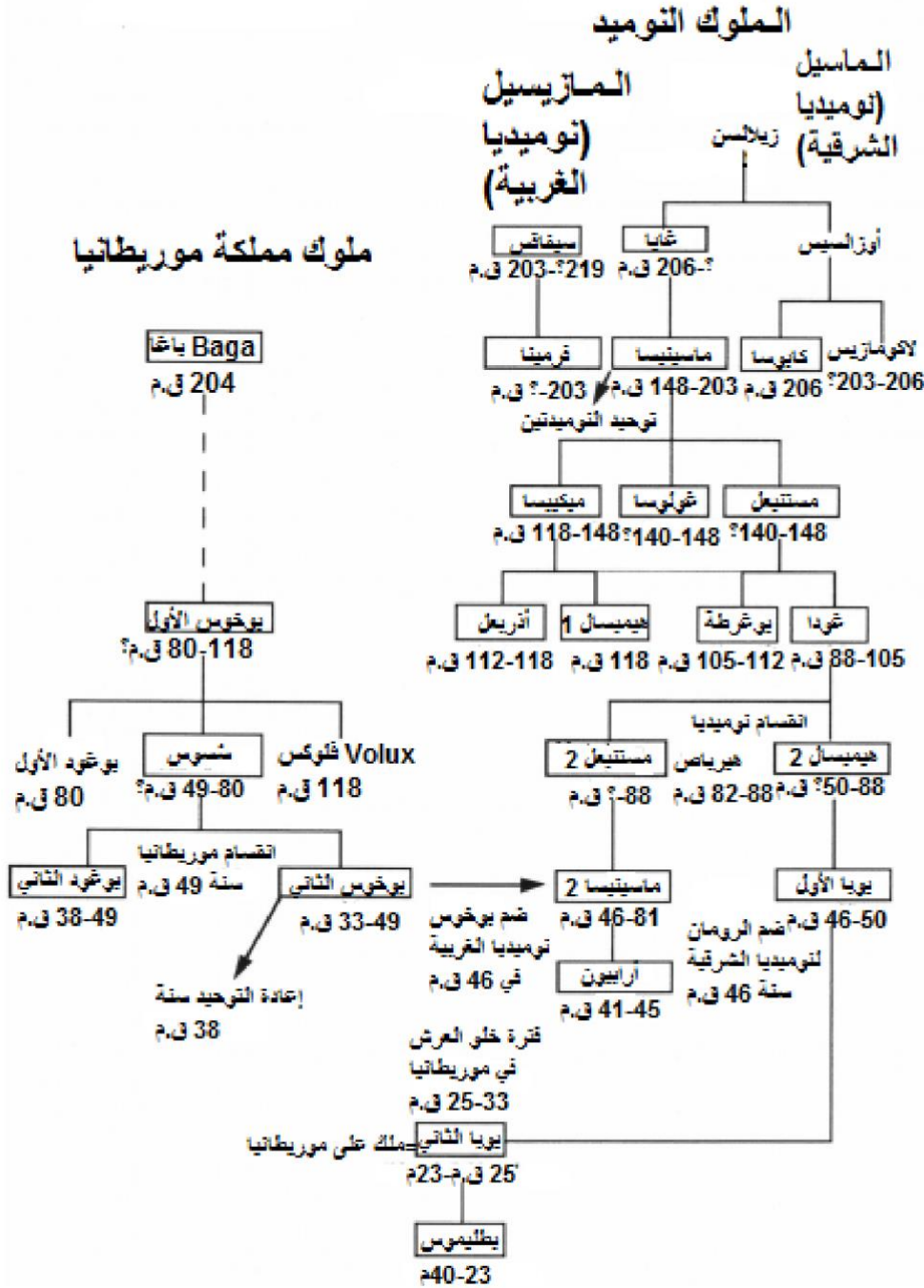
<sup>3</sup> - Camps G., Op – cit, p 184

في هذا الفصل، سنركز على أهمية فهم نشأة الممالك الوطنية في سياق تطور المجتمعات القبلية القديمة. على الرغم من أننا قد نفتقد للدليل القاطع حول تفاصيل نشأة تلك الممالك، إلا أن البحث والتحليل الحالي يشير إلى أن هذه الممالك نشأت من تجمعات القبائل التي كانت تعيش في المناطق ذات القيادة القوية والتنظيم الجيد.<sup>1</sup> قبل تأسيس هذه الممالك الوطنية، كانت القبائل تعيش في نظام قبلي يعتمد على العلاقات العشائرية والقيادات القبلية التقليدية. كانت القبائل تتنافس وتتصارع من أجل الموارد والنفوذ، وكانت قيادتها تكون بشكل عام عبارة عن رؤساء قبليين يتولون السلطة بناءً على القوة والشجاعة والحكمة. تحولت بعض هذه القبائل إلى ممالك وطنية عندما نجحت في توحيد القبائل المجاورة تحت سلطتها، وتأسست هذه الممالك على أساس توزيع السلطة والموارد وفق نظام مركزي مركزي أكثر تنظيماً. ومن الممكن أن تكون هذه الممالك قد تطورت نتيجة للاحتكاك مع الحضارات الأخرى والتبادل الثقافي والتجاري.<sup>2</sup> ومع ذلك، فإن معرفتنا بتلك القبائل ونشأتها وتحولها إلى ممالك وطنية ما زالت تقتصر بشكل كبير على الأساطير والمراجع التاريخية القديمة، وقد تكون معلوماتنا عنها غير كافية لإعطاء صورة دقيقة عن عملية التحول التي حدثت. إنها مجرد تخمينات استناداً إلى الأدلة المتاحة، وهذا الفصل سيسلط الضوء على هذا الجانب الغامض ويحاول إلقاء الضوء على العوامل المحتملة التي أدت إلى نشأة الممالك الوطنية في تلك الحقبة الزمنية.

<sup>1</sup> -Tite Live, op.cit, XXVIII,18,7.

<sup>2</sup> -Polybe, Histoire, trad. D.Roussel, Paris,1970.

1- شجرة نسب (arbre généalogique) الملوك:



المرجع: أسامة بقار، ممالك الأهالي (الليبيون): التوميدتين وموريطانيا، - جامعة محمد خيضر-بسكرة-

محاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية تاريخ، الجزائر في 2020/04/19.

الفصل الأول:

المظهر السياسي والعسكري

وتأثره بالكيانات المجاورة

## تمهيد:

يعد النظام السياسي والعسكري من أهم العناصر التي تحدد مسار تطور الممالك الوطنية وتأثيرها على المنطقة المحيطة بها. يتجلى هذا التأثير في المجالات السياسية والعسكرية مع الكيانات المجاورة، وكذلك في القدرة على تحقيق الاستقرار الداخلي والتأثير الخارجي.

في هذا الفصل، سنقوم بدراسة المظهر السياسي والعسكري للممالك، بداية من نظام الحكم وكيفية انتقاله من جيل إلى آخر، وكذلك كيفية إدارة المملكة وتنظيم شؤونها الداخلية والخارجية.

ثم، سنتناول دراسة العملة ودورها في تحقيق التبادل التجاري وتعزيز الاقتصاد، وكيفية تأثير ذلك على العلاقات مع الكيانات المجاورة.

بالإضافة إلى ذلك، سنركز على دور الجيش في الممالك الوطنية، بداية من القوات النظامية التي تعمل على حفظ الأمن الداخلي وتطبيق القوانين، وحتى القوات الاحتياطية تساهم في التصدي للتحديات الخارجية، بالإضافة إلى دراسة دور المرتزقة وتأثيرهم في الشؤون السياسية والعسكرية للمملكة.

من خلال هذا الفصل، سنحاول فهم كيفية تأثير العوامل السياسية والعسكرية على تطور الممالك الوطنية، وكيفية استجابتها لتلك التحديات وتأثيراتها على المنطقة المحيطة بها.

## المبحث الأول: المظهر السياسي والأنظمة الإدارية والمالية:

### المطلب الأول: نظام الحكم وانتقاله :

ساد النظام الملكي الوراثي في بلاد المغرب القديم، حيث كانت الملكية محصورة في الذكور وكانت بشكل أساسي أمراً حربياً<sup>89</sup>. يظهر أن هذا النظام الحاكم لم يستمد من الثقافة القرطاجية، إذ يستبعد كل من قرال ولاسيير أن المغاربة القدماء استمدوا نظامهم الملكي من قرطاج، حيث لم تعرف قرطاج النظام الملكي. يشير غاكي إلى عدم وجود صلة بين الملكية الليبية والنظام القرطاجي أو الفينيقي، إذ بقيت قرطاج مرتبطة بـ صور ولم تنتظم كمملكة، وتؤكد الأبيغرافية غياب الملكية في قرطاج والمدن الفينيقية الأخرى خارج إفريقيا<sup>90</sup>، مما يجعل لاسيير يتساءل عن إمكانية انتقال هذا النمط من الحكم من الشرق إلى شمال أفريقيا، ويعتقد أن النوميديين استمدوا النظام الملكي من الشرق، مما يشير إلى تأثرهم بالشرق الهيلينستي.

تأثرت المناطق الليبية بعدة عوامل خاصة ساهمت في تثبيت واستمرارية النظام الملكي، وذلك كرد فعل على خطر الحضارة الفينيقية البونية وتأثيرات خارجية أخرى. ومن بين هذه الظروف الخاصة<sup>91</sup> :

➤ التهديد الفينيقي البوني: كانت الممالك الليبية تواجه تهديداً متزايداً من الحضارة الفينيقية البونية التي كانت تسعى للتوسع والسيطرة على الموارد الطبيعية والمناطق الاستراتيجية في المنطقة. تعتبر هذه التهديدات

<sup>89</sup> -Gsell,S.,op.cit,p.121

<sup>90</sup> - Ghaki, M.,1993,«L'organisation politique et administrative chez les Numides », A la croisée des études libyco-berbère, pp89-90.

<sup>91</sup> -Lassère, J.M.,2015, p.56

واحدة من العوامل التي دفعت القادة الليبيين إلى توحيد قواهم وتأسيس نظام ملكي قوي للتصدي لهذا التهديد.

➤ التأثيرات الثقافية والاجتماعية الأخرى: بالإضافة إلى التهديدات الخارجية، كانت هناك عوامل ثقافية واجتماعية أخرى تؤثر على استقرار المنطقة. من بين هذه العوامل، الحاجة إلى تنظيم سلطة مركزية لتحقيق الاستقرار الداخلي وإدارة الموارد والشؤون السياسية والاقتصادية بشكل فعال.

➤ النظام السياسي "نظام دول الأسر": يطلق على التنظيم السياسي في المناطق الممتدة غرباً من قرطاجنة تسمية "نظام دول الأسر" أو "الدولة الأسرية". كان هذا النظام يعتمد على تنظيم القبائل والعشائر تحت سلطة ملوك أو حكام ينتمون لعائلات معينة. وقد ساهم هذا النظام في تعزيز الاستقرار السياسي والاجتماعي في تلك المناطق.

بالتالي، يمكن القول بأن وجود ظروف خاصة، مثل التهديدات الخارجية والتأثيرات الثقافية والاجتماعية، ساهم في تثبيت واستمرارية النظام الملكي لدى الليبيين، وكان هذا النظام رد فعلاً استراتيجياً على تحديات البيئة السياسية والاقتصادية والثقافية في تلك الحقبة الزمنية.

يرى نفس الباحث أنه لا يمكن فصل الأسرة عن الدولة، حيث كان العرش أو الحكم ينتقل تلقائياً من الملك إلى الأكبر سنّاً في العائلة الملكية، بحيث إذا مات الملك، لا يرث الحكم أكبر أبنائه سنّاً، بل يرثه أكبر ذكور العائلة بأكملها<sup>92</sup>. ووصف لاسيير هذه الطريقة في انتقال الحكم بالمعقدة، وهي الطريقة التي اعتمدت في مناطق أخرى واتبعت في إفريقيا قبل حكم الرومان وخلال عهد الفاندال في المنطقة.<sup>93</sup>

تمثلت السيادة الملكية في الممالك الوطنية في قيام أسرة معينة بتولي الحكم، وهو ما فتح المجال للتنافس بين أفراد الأسرة والقوى الداخلية الأخرى. يُعد تيتوس ليفيوس من بين المؤرخين القدامى الذين نقلوا لنا تفاصيل حول الأحداث التي تلا وفاة الملك النوميدي قايا في عام 206 قبل الميلاد<sup>94</sup>، حيث تناولت هذه الأحداث التحولات السياسية والاجتماعية التي حدثت في تلك الفترة.

ومع ذلك، شهدنا تغييراً ملحوظاً في مبدأ انتقال الحكم في مملكة الماسيل بعد وفاة الملك ماسينيسا في عام 148 قبل الميلاد. حيث خلفه أبنائه الثلاثة، ميكيسا وغولوسا ومصطنبل، وعلى الرغم من تعدد الورثة، فإن ميكيسا تمكن من الانتصار والسيطرة على الحكم بعد وفاة شقيقه، حيث أنفرد بالحكم وسط الصراعات الداخلية.

ولكن، لم يكن هذا الانتقال إلى الحكم الفردي دائماً، حيث ظلت مملكة الماسيل تطبق مبدأ الحكم الثلاثي بعد وفاة ميكيسا في عام 118 قبل الميلاد. فقد ترك هذا الملك المملكة لأبنائه عزز بعل وهيمبسال، بالإضافة إلى ابن أخيه يوغرطة.

<sup>92</sup> - جوليان، ش... ، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الاسلامي 647 ، ، تر مزالم وسلامة .ب، 2011 ، ص68

<sup>93</sup> -Lassère,J.M.,2015, p.56

<sup>94</sup> -Tite-Live, op.cit, XXIX, 29,6,8-13,XXIX ,30,1-3

في السياق الزمني لنشأة وتطور الممالك الوطنية، نلاحظ تنوعاً كبيراً في مبدأ انتقال الحكم وتولي الورثة للسلطة. يعكس هذا التنوع تأثير الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية المتغيرة على تطور الهياكل الحاكمة في تلك الفترة.

أحد العوامل التي أثرت على مبدأ انتقال الحكم هي الظروف السياسية، حيث كانت الممالك تواجه تحديات داخلية وخارجية تجعل عملية انتقال الحكم معقدة ومتنوعة. فقد شهدت بعض الممالك صراعات داخلية بين الورثة المحتملين، بينما تعرضت لتهديدات خارجية قد تؤثر على استقرار الحكم وتطوره. بالإضافة إلى ذلك، كانت الظروف الاجتماعية تلعب دوراً مهماً في تحديد مسارات انتقال الحكم. ففي بعض المجتمعات، كانت الأسرة المالكة تعتبر مركزاً للقوة والثراء، مما جعل تحديد الورثة يعتمد على معايير اجتماعية محددة مثل النسب والعرق والمكانة الاجتماعية. بينما في مجتمعات أخرى، كانت القدرة على القيادة والشجاعة تأخذ الأولوية في تحديد الحاكم الجديد<sup>95</sup>.

ومن الناحية الثقافية، فقد تمثلت تحولات مبدأ انتقال الحكم في تطور المفاهيم الثقافية والدينية للسلطة والحكم. ففي بعض الثقافات، كان الحاكم يعتبر مختاراً من قبل الآلهة أو يحظى بدعمها، مما يجعل عملية انتقال الحكم مرتبطة بالمعتقدات الدينية والطقوس الثقافية. بهذه الطرق، يظهر تنوع وتعقيد مبدأ انتقال الحكم في الممالك الوطنية، ويبرز كيفية تأثير الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية في تشكيل هذا المبدأ وتطوره عبر الزمن.

بعد فترة ميكييسا، واجهت الممالك الوطنية تحديات جديدة وأزمات داخلية، وهو ما أدى في بعض الحالات إلى عودة الأزمنة إلى العرش النوميدي. تأثرت هذه الممالك بالظروف السياسية والاقتصادية والثقافية التي عاشتها المنطقة في ذلك الوقت، بالإضافة إلى التدخلات المستمرة من الرومان. تدخل الرومان في شؤون الممالك الوطنية أثر بشكل كبير على نظام الحكم، حيث لجأ بعض الحكام إلى التعاون مع الرومان من أجل الحفاظ على سلطتهم، بينما اعتبر آخرون التدخل الروماني تهديداً لاستقلاليتهم وقاموا بمقاومته بكل الوسائل الممكنة. هذه التدخلات أدت إلى تقلبات في النظام السياسي والاجتماعي في تلك الممالك، وزادت من عدم الاستقرار في الحكم<sup>96</sup>.

بالإضافة إلى ذلك، فإن عدم وجود نظام وراثي ثابت في تلك الفترة ساهم في زيادة الصراعات الداخلية والصراعات على العرش، مما أدى إلى تقلبات مستمرة في هياكل الحكم في تلك الفترة الزمنية. هذه الظروف الداخلية المضطربة في الممالك الوطنية أثرت على الاستقرار السياسي والاجتماعي في المنطقة، وكان لها تأثير كبير على طبيعة الحكم والسلطة في تلك الحقبة التاريخية.

<sup>95</sup> -Salluste, op.cit, V .X

<sup>96</sup> - Ghaki, M., op.cit, p 90

## المطلب الثاني: الأنظمة الإدارية:

يواجه النظام القبلي الذي قامت عليه الممالك الوطنية تحديات كبيرة في بناء إدارة مركزية قوية وتسيير إداري موحد، حيث تظهر صعوبة في تحقيق السيطرة الكاملة على الأقاليم المختلفة<sup>97</sup>. تتفاوت إدارة الممالك وتستجيب للتباينات الجغرافية والثقافية والاقتصادية في مختلف المناطق، وهذا ما يجعل النظام الإداري يتأقلم مع تلك الاختلافات.

أثارت مسألة توفر الممالك على نظام ومؤسسات إدارية الكثير من الجدل بين المؤرخين. فقد شكك بعضهم في القدرة الفعلية لهذه المؤسسات على تحقيق السيطرة الكاملة على المملكة وتوجيه سير الأمور بشكل موحد. من بين هؤلاء المؤرخين، يظهر وجهة نظر قزال الذي يعتبر أن الملك النوميدي ماسينيسا، على الرغم من توسيعه لنطاق سلطته، إلا أنه لم يول اهتمامه إلى تنظيم مملكته بشكل فعال.

من ناحية أخرى، يصف كامبس النظام السياسي المغاربي بالحكم الأوتوقراطي الذي يعتمد شخصية الملك وعظمته. وفي هذا النظام، يلعب الملك دوراً محورياً في توجيه شؤون المملكة واتخاذ القرارات الحاسمة، ويرتبط قدرها بشكل كبير بشخصه وقدرته على تحقيق الاستقرار والسلطة في الدولة<sup>98</sup>.

من خلال هذا الفصل، ندرك أن النظام الإداري في الممالك الوطنية كان يتفاعل مع الظروف والتحديات المحيطة بها، وكان يظهر تبايناً في الأساليب والممارسات حسب طبيعة كل مملكة وتاريخها وظروفها السياسية والاجتماعية. ومع ذلك، لا يمكن إنكار دور المؤسسات الإدارية في تحقيق الاستقرار والتطور في الممالك الوطنية، حتى لو كانت هذه المؤسسات غير كاملة الفعالية أو معرضة للاهتزاز في بعض الأحيان.

على الرغم من تأسيس ماسينيسا لدولة كبيرة، إلا أنه لم يهتم بتنظيمها بشكل كافٍ. ويرى أندري جوليان أن الملك النوميدي لم يؤسس جهازاً إدارياً ولم يستخدم موظفين إداريين<sup>99</sup>، وإنما استعان في إدارة شؤون حكمه بأفراد من عائلته وأقاربه وحاشيته.

من الممكن أن يكون سبب عدم تنظيم مملكة ماسينيسا هو مشاركته القوية في الحروب البونية واستعادة الأقاليم التي اقتطعتها قرطاجة، ولعله قد عهد أمر تنظيم المملكة إلى أبنائه بعد وفاته. على الرغم من ذلك، يعتقد البعض الآخر أنه من الممكن فهم طبيعة النظام السياسي والإداري في فترة ماسينيسا بشكل أفضل من فترات ملوك آخرين مثل والده قايا وسيفاكس.

على الرغم من صمت المصادر القديمة بشأن الجوانب التنظيمية للممالك الوطنية في العصور القديمة، إلا أن البحوث الأثرية الحديثة تكشف عن وجود تنظيم إداري متطور ورتب إدارية محكمة في بعض هذه الممالك، كما يوضح ذلك الاكتشافات الأثرية في منطقة النوميديين<sup>100</sup>.

<sup>97</sup> - غاكي، م، 2005، تونس عبر التاريخ، ج 1، تونس، ص 98

<sup>98</sup> - Gsell, S., 1927, HAAN, T. VI, Paris, p.282

<sup>99</sup> - Camps, G., 1960, p. 244

<sup>100</sup> - Ghaki, M., 2017, «Question autour d'un siècle numide» (205-105av.j.c.) Libyca, N.2, La Numidie, Massinissa et l'histoire, Actes du colloque international, Constantine, les 14, 15 et 16 mai 2016, p.211

الفهم الأكاديمي لتنظيم الممالك الوطنية بدراسة النقوش الحجرية التي تم اكتشافها في مدينة النوميديين، والتي تشير إلى وجود مجلس مواطنين يشارك في إدارة شؤون المدينة. يعتبر هذا المجلس دليلاً على التنظيم السياسي والإداري البديل الذي تبنته تلك الممالك. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك رتب إدارية محددة تضمنت وجود حكام وولاة محليين يتولون مسؤوليات تجنيد الجيوش وجمع الضرائب وإدارة القضايا المحلية. وتبرز أهمية دور الملك في تنظيم هذه الممالك، حيث كان يقوم بتعيين حكام جهويين لتمثيله في المناطق المحلية، وينطبق هذا النمط على العديد من الممالك الوطنية في تاريخ البشرية. يُعدُّ هذا النظام الإداري مؤشراً على التطور السياسي والإداري لتلك الفترة، ويعكس القدرة على توجيه الموارد وتنظيم الحكم على نحو مركزي<sup>101</sup>.

باختصار، فإن الاكتشافات الأثرية تلعب دوراً حاسماً في توسيع فهمنا للتنظيم الإداري للممالك الوطنية، حيث تظهر أنظمة إدارية معقدة ومتقدمة تمتاز بالتنظيم والترتيب، وتبرز أهمية دور الحكام المركزيين والمحليين في تسيير شؤون المملكة وتحقيق استقرارها واستمراريتها على مر العصور.

على الرغم من الغموض الذي يكتنف الجانب التنظيمي لهذه الممالك، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة عدم قدرة الملوك على إنشاء شبكة تنظيمية لشؤون العرش والمملكة. فقد كان لدى الملوك النوميديين والموور مساعدين لتسيير الدولة، حيث كان الملك يختار مساعدين له من بين أصدقائه الذين عين منهم مستشارين وسفراء له لدى الدول والممالك الأجنبية. فقد بعث سيفاكس سفارة وممثلين إلى روما، وكذلك يوغرطة، بالإضافة إلى تعيين موظفين وقضاة<sup>102</sup>.

على الرغم من قلة المعلومات المحددة في النصوص القديمة حول كيفية إدارة الملوك لممالكهم، إلا أننا نستطيع الإشارة إلى دور بعض الملوك في مشاركة أبنائهم في عملية الحكم. تعتبر هذه الظاهرة مظهرًا مهمًا من مظاهر تنظيم السلطة داخل الممالك الوطنية، وتعكس التفاعلات الاجتماعية والسياسية داخل البيت الملكي.

في العديد من المجتمعات القديمة، كانت الأسرة الملكية تحظى بمكانة خاصة، وكانت تنظر إليها على أنها حاملة للسلطة والهوية الوطنية. وبالتالي، كان من الشائع رؤية الملوك يشاركون أبناءهم في شؤون الحكم، سواءً من خلال تعيينهم كوكلاء أو مساعدين لهم، أو حتى من خلال تعيينهم خلفاء لهم في حالة الوفاة أو الاعتزال.

من الأمثلة التي يمكن أن نشير إليها، وُلد فيرمينا ابن سيفاكس، وفولوكس ابن بوكوس، وقد تم ذكرهم في النصوص القديمة وهم يشاركون في شؤون الحكم بطرق مختلفة. يعكس ذلك التقليد الذي كان ينتشر في

<sup>101</sup> - Camps, G., op.cit, p. 244

<sup>102</sup> - Decret Fantar, 1982, P.86 .

بعض الممالك الوطنية، حيث كان يُعتبر توريث الحكم للأبناء جزءًا من استمرارية النظام السلطوي واستقرار المملكة<sup>103</sup>.

ومع ذلك، يجدر بنا أن نلاحظ أن هذه المعلومات قد تكون محدودة وغير كافية للتعلم في فهم كامل للعلاقة بين الأسرة الملكية وعملية الحكم في تلك الحقبة الزمنية. قد تكون هذه المشاركة للأبناء في الحكم قد تأتي بناءً على اعتبارات سياسية أو اجتماعية معينة، وقد يكون لها تأثيرات متباينة على استقرار المملكة وقدرتها على الازدهار.

بهذه الطريقة، يظهر دور الأسرة الملكية كعنصر أساسي في نظام الحكم داخل الممالك الوطنية، وتشير مشاركة الأبناء في الحكم إلى وجود تفاعلات معقدة ومتشابكة بين السلطة والوراثة والاستقرار السياسي في تلك الفترة التاريخية.

ومن المحتمل أن اختيار الملك سيفاكس لسيرتا كعاصمة ثانية لمملكته الشاسعة كان بهدف تسهيل إدارة القسم الشرقي من مملكته، وينطبق ذلك أيضًا على حكم يوبا الثاني الذي جعل من ويلي عاصمة القسم الغربي من مملكته<sup>104</sup>. (أنظر الملحق رقم 01)

### المطلب الثالث: الأنظمة المالية

تعتبر العملة من أهم الوسائل التي استخدمتها الحضارات القديمة لتمثيل السلطة والسلالات الحاكمة. فمنذ القدم، كانت العملة تحمل علامات ورموز تمثل السيادة والقوة للملوك والحكام. ومع مرور الزمن، أصبحت العملة رمزًا متجسدًا لهذه السلطة، وأداة لتعزيز هوية الحضارات والثقافات التي تديرها السلالات الحاكمة. في شمال إفريقيا، كانت قرطاجة الرائدة في ضرب العملة ابتداءً من القرن الخامس قبل الميلاد. على الرغم من تأخرها نسبيًا مقارنةً بالعالم اليوناني<sup>105</sup>، إلا أنها استطاعت تطوير نظام نقدي يمثل قوتها وسلطتها. ومن هنا، استمدت الحضارات الأخرى في المنطقة، مثل النوميديون، نظامهم النقدي من قرطاجة.

تحت حكم الملك سيفاكس في القرن الثالث قبل الميلاد، بدأ النوميديون في ضرب عملتهم، وهو تطور مهم يعكس قدرتهم على التأقلم مع التقنيات والممارسات الثقافية والاقتصادية المتقدمة التي استمدوها من قرطاجة. ومع ذلك، يُنسب تطوير النظام النقدي للنوميديين إلى ماسينيسا، حيث استطاعوا تحسين وتطوير هذا النظام ليناسب احتياجاتهم ويعزز اقتصادهم وسلطتهم<sup>106</sup>.

هكذا، يبرز تطور العملة كرمز للسلطة والسلالات الحاكمة في شمال إفريقيا، حيث استطاعت الحضارات المختلفة تطوير أنظمتها النقدية واستخدامها كأداة لتعزيز هويتها الوطنية والسيادة على المنطقة.

<sup>103</sup> - Lassère, J.M., op.cit, p.56

<sup>104</sup> - Carcopino, j., 1943, Le Maroc antique, Paris, p.177

<sup>105</sup> - Coltellini-Trannoy, M., 1997, Le royaume de Maurétanie sous Juba 2 et Ptolémée (25 av. j. c 40 ap. j. c.), Paris, p.163

<sup>106</sup> - فرحاتي، ف.، 2007، نوميديا من حكم الملك قايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213-46 ق.م، ص. 277

العملة كانت إحدى الوسائل المستخدمة لممارسة السلطة، حيث كانت صلاحية سك العملة تشير إلى وجود السلطة. وحملت العملة مجموعة من الإشارات السياسية، مثل النقوش التي تحمل أسماء الملوك والمدن، ورموز السيادة والسلطة مثل التيجان والصولجان<sup>107</sup>.

تم تصنيف بعض العملات إلى مجموعات نقدية تعود إلى ملوك مختلفين، مثل المجموعة النقدية للملك الماسيسيبي سيفاكس وابنه فيرمينا، ومجموعة العملات الخاصة بعائلة ملوك الماسيل، والتي كانت تتميز بصورة الحصان.<sup>108</sup> وكان لدى سيفاكس اهتمامًا خاصًا بنقش اسمه الكامل وصفته الملكية على العملة، بينما اكتفى الملك ماسينيسا بنقش الحروف الأولى والأخيرة من اسمه (MN).

ومن الجدير بالذكر أن بعض العملات كشفت عن أسماء ملوك أو أمراء لم يُعرفوا من خلال الكتابات التاريخية، مثل العملات التي تحمل أسماء ملوك صغار أو أمراء في نوميديا وموريطانيا،<sup>109</sup> وتمكنت العملات من توضيح العلاقة والقرابة بين بعض الملوك، مثل العلاقة بين بوكوس الثاني، حيث أراد بوكوس أن يضفي صفة الشرعية لحكمه من خلال نقش اسم والده على العملة<sup>110</sup>. (أنظر الملحق رقم 02 و03)

## الملحق رقم 02



(1)



الملحق رقم 04

الملحق رقم 03



(ب)



(أ)







صورة 5: عملة نوميدية من معدن برونز , تعود الى عهد الملك يوبا الاول الذي يظهر في واجهة العملة , و يظهر الفيل في وجهها الاخر متجها نحو اليسار  
المرجع : صورة ماخوذة من متحف الاثار القديمة , الجزائر , 2013

### المبحث الثاني: تنظيم الجيش والعناد الحربي:

#### المطلب الأول: الجيش وأنواعه

كانت الممالك الليبية القديمة تولي اهتمامًا كبيرًا بتأسيس مؤسسات عسكرية قوية لضمان استقرار الملكية وحفظ الأمن داخل المملكة، خاصة وأن الملكية عند النوميديين والمور كانت تعتمد على القوة العسكرية<sup>111</sup>. قام الملوك النوميديون والمور بجهود كبيرة لتطوير القوات العسكرية، حيث استعان الملك سيفاكس بخبراء عسكريين من الرومان لتطوير جيشه وتأسيس فرق عسكرية<sup>112</sup>.

تمتلك مملكة الماسينيسا تاريخًا مليئًا بالانتصارات العسكرية والتطورات الهامة في مجال القوة العسكرية. إن وجود قوات عسكرية قوية ومؤهلة كان له دور كبير في تأسيس سيادة المملكة وضمان استمراريتها عبر الزمن<sup>113</sup>.

تميزت الماسينيسا بجيوش مؤهلة ومنظمة، جاهزة للمشاركة في معارك منظمة ومصنوفة. كان لدى الماسينيسا اهتمامًا خاصًا بتطوير وتدريب الجيش، حيث حوّل النوميديين الذين كانوا يمارسون أعمال النهب إلى جنود متفانين خاضعين للنظام ومستعدين للقتال في الصفوف الرومانية<sup>114</sup>.

<sup>111</sup> -Gsell,S.,op.cit, p.122

<sup>112</sup> -Tite-Live , op.cit XXIV , 48, 5

<sup>113</sup> - Coltelloni-Trannoy, op.cit, p.42

<sup>114</sup> -Mommsen,TH.,1865,Histoire Romaine, T.III, Paris,p.273

ومن هنا، تركت الماسينيسا لخلفائها تركيبة عسكرية قوية ومنظمة، تميزت بالاستعداد والتأهب لمواجهة التحديات الخارجية. كان لديهم جيش قوي ومنظم، ولم يقتصر الأمر على اليابسة فقط، بل كان لديهم أيضاً أسطول بحري يعزز من قدرتهم على المنافسة في المياه البحرية. بفضل هذه المؤسسة العسكرية القوية، نجحت مملكة الماسينيسا في الحفاظ على استقرارها وتحقيق التوسع والنجاح في الميادين العسكرية والسياسية على حد سواء.

وأيضاً، كانت لدى الملوك المور قوات عسكرية معتبرة، حيث أشار ليفيوس إلى فرسان باكا وتوفيرهم على قوات عسكرية كبيرة، حيث قدم الملك باربارة مرافقة عسكرية لماسينيسا بحسب ما ذكر ليفيوس، وأشارت مصادر أخرى إلى توفر المملكة المورية على قدرات عسكرية<sup>115</sup>، حيث شارك الملك بوكوس الأول في معارك إلى جانب الملك النوميدي يوغرطة وصرح بأنه كان يتوفر على أعداد هائلة من الجنود. ومن خلال الاستعدادات التي قام بها بوكوس الأول لسولا، يمكن فهم الاستعدادات العسكرية الهائلة التي كانت مملكته تتمتع بها من رجال وأسلحة<sup>116</sup>.

فيما يتعلق بتكوين الجيش عند النوميدي والمور، فإن الجيش يضم قوات نظامية دائمة، بالإضافة إلى قوات مؤقتة ومرترقة لتشكيل الجيش البري بالخصوص.

#### أولاً: القوات النظامية:

يعرف الجيش الملكي النوميدي بأنه القوة العسكرية التي كانت تخدم الملك وتحمي مملكته، وكان يُعرف أيضاً بالقوات النظامية.<sup>117</sup> كان الجيش الملكي يتألف من عدة وحدات، منها الحرس الملكي الذي كان مسؤولاً عن حماية الشخص الملكي وقصوره، وكان له دور هام في حفظ النظام الداخلي. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك وحدات حاميات موزعة في مختلف المواقع الحساسة للدولة<sup>118</sup>.

تتمتاز القوات الدائمة التابعة للجيش الملكي بتنظيمها الجيد، حيث كانت تُنشأ وحدات تحت قيادة ضباط مختصين يتولون مسؤولية تدريب الجنود وإدارة العمليات العسكرية. وتشمل هذه القوات الدائمة عدداً من الجنود المدربين في فنون القتال، سواء كانوا من المشاة أو الفرسان، وكانوا مستعدين للتصدي لأي تحديات أمنية قد تواجه المملكة<sup>119</sup>.

#### ثانياً: القوات الاحتياطية:

قوات الاحتياط هي قوات يتم تجنيدها عند اندلاع الحرب، وتُفكك بمجرد انتهاء النزاع، وقد كانت تُعدّ القوات الاحتياطية من العناصر التي اعتمدها الملوك النوميديون. يُظهر ذلك من اشارة تيتوس ليفيوس إلى

<sup>115</sup> -Tite live, op.cit, XXIX,30

<sup>116</sup> -Salluste, op.cit, CX

<sup>117</sup> - محمد الهادي حارث، مملكة نوميديا (دراسة حضارية) منذ القرن التاسع الى القرن الأول قبل الميلاد، الجزائر، 2013، ص 76

<sup>118</sup> - المرجع نفسه، ص 113.

<sup>119</sup> - المرجع نفسه، ص 113.

تجنيد الملك سيفاكس للنوميديين، حيث قام بتزويدهم بالمعدات العسكرية مثل الأسلحة والخيول. بالإضافة إلى ذلك، لجأ يوغرطة إلى القوات الاحتياطية لمواصلة حربه ضد الرومان<sup>120</sup>.

### ثالثاً: المرتزقة:

أما بالنسبة للاستخدام الذي كان يجعله الملوك النوميديون للمرتزقة في جيوشهم، فقد بدأ هذا الاستخدام على الأقل منذ عهد يوغرطة. فذكر سالوستيوس وجود ليقوريين وتراقيين في جيش يوغرطة<sup>121</sup>، كما استعان يوبا الأول بالمرتزقة لتعزيز جيشه، حيث نشر 200 ألف فارس إسباني وغاللي، الذين كانوا يشكلون حرسه الشخصي، تحت إشراف ضابطه سابورا<sup>122</sup>.

أما بالنسبة للتقاليد الحربية للشعوب الليبية، مثل النوميديين والمور، فقد وردت بعض المعلومات عنها في كتابات سترابون. فوفقاً له، فإن الفرسان في الغالب يجاربون بالرمح ويستعملون الجمة المصنوعة من السمار، ويتجهزون بالخناجر أيضاً، ويركبون الخيول بدون سرج. أما المشاة فيستخدمون دروعاً مصنوعة من جلود الفيلة، ويعتمدون على جياد صغيرة وسريعة في المعارك<sup>123</sup>.

### رابعاً: الجيوش الدائمة:

يتبنى الملك استخدام حرسه كوسيلة لحماية شخصه من هجمات محتملة ولتنفيذ حملات سريعة لقمع الفتن ومنع انتشارها. يشكل هذا الحرس الدائم جزءاً أساسياً من الإستراتيجية الدفاعية للمملكة<sup>124</sup>. بالإضافة إلى ذلك، يتم استخدام الجيوش الدائمة لحماية المدن خلال الحروب، وتقوم أيضاً بأداء مهام شرطة المملكة وضمان تواصل الحياة اليومية والمواصلات داخل أراضيها<sup>125</sup>.

تتألف الجيوش الدائمة من وحدات متعددة تحت قيادة ضباط مدربين بشكل جيد. تتضمن هذه الوحدات المشاة والفرسان<sup>126</sup>، وتذكر النصوص التاريخية بوفرة استراتيجيات القتال والتجهيزات الحربية التي كانت تستخدمها الوحدات النوميديية<sup>127</sup>. يُشتهر الفرسان والمشاة النوميديون بخفتهم وسرعتهم في تنفيذ العمليات الحربية، وقد وصفهم تيتوس ليفيوس بأنهم أسرع من الخيل نفسه في تحقيق الأهداف العسكرية.

### خامساً: الفرسان

<sup>120</sup> - Camps, G., op.cit, p.261

<sup>121</sup> - Salluste, op.cit, XXXVII ; LXI

<sup>122</sup> - Hamdoune, Chr., Les auxilia externa africains des armées romaines IIIe Siècle av. j.c.- IV siècle ap.- j.c., Montpellier, 1999, p.77.

<sup>123</sup> - سترابون، 2003، جغرافية، ترجمة محمد المبروك الدويب، 3،7، 17.

<sup>124</sup> - قزال، س، مرجع سابق، ص 128.

<sup>125</sup> - حارث، م ه، مرجع سابق، ص 113.

<sup>126</sup> - المرجع نفسه، ص 113.

<sup>127</sup> - Hamdoune, op.cit,

E Siècle av. j.c.- IV siècle ap.-j. c., Montpellier, p.65-66.

يُعتبر الفرسان في الجيش النوميدي أكثر عددًا من المشاة<sup>128</sup>، مما يُظهر الأهمية التي يحظون بها في تشكيل الهيكلة العسكرية للجيش النوميدي<sup>129</sup>. يتبنى الفرسان النوميديون في غالب الأحيان أساليب الحرب القرطاجية والرومانية، حيث شاركوا في الحروب بجانب أو ضد هذه الأطراف، مستخدمين نفس الأسلحة والاستراتيجيات<sup>130</sup>.

يتمتع الفرسان النوميديون بسمعة مرموقة بجانب الموريين والجيتوليين، حيث تم ذكرهم في أعمال مؤلفين مختلفين عبر العصور، بدءًا من الحروب البونيقية حتى الحروب الأهلية<sup>131</sup>. ويصف سترابون في مؤلفه الجغرافيا تقاليد الفروسية عند الأفارقة، حيث يتمتع الفرسان بمهارة في ركوب الخيل بدون لجام أو شكائم، بل يستخدمون حبالًا يوضع على أنف الحصان<sup>132</sup>.

أما بالنسبة لألبسة المحاربين النوميديين والأفارقة بشكل عام، فتُصنف بأنها ألبسة فضفاضة مصنوعة من جلود الحيوانات مثل الفهود والأسود والدببة<sup>133</sup>. يشير تيتوس ليفيوس إلى أن الفرسان النوميديين لم يكونوا يُلاحظون بمظهرهم المتأنق، وكانت أحصنتهم تعتبر هزيلة مما أثار السخرية. ويشير فرننان إلى المفارقة بين مظهر الفرسان النوميديين وفعاليتهم الفعلية في ساحة المعركة.

تعتبر الخيالة النوميديية خيالة خفيفة ومتميزة في المناوشات العسكرية، حيث تثير القلق والفرع حتى عن طريق صيحاتها المشوشة<sup>134</sup>. ومع ذلك، لم تتمتع هذه الخيالة بنفس الأهمية والاستحقاقات التي كانت تُمنح للخيالة في بعض الثقافات الأخرى، كما توضح الوصفات التاريخية<sup>135</sup>.

على سبيل المثال، يشير تيتوس ليفيوس إلى كيفية تنظيم القائد القرطاجي صدر بعل خيالاته خلال معركة 216 ق.م. لم يضع القائد القرطاجي كل النوميديين على الجناح الأيسر، بل اختار فقط الذين كانوا متقنين للفروسية، مما يتيح لهم تغيير الأحصنة أثناء المعركة حسب الحاجة. وقد وصف المؤلفون الرومان هذه المناورة بأنها استعراضية<sup>136</sup>.

يُظهر هذا الوصف من تيتوس ليفيوس وجود فرق خاصة من الفرسان النوميديين يتمتعون بمهارات فروسية متقدمة، مما يبرز الانسجام الكبير بين الفارس والحصان. هذا النوع من الخيالة النوميديية، الذي أثار إعجاب

128 - حارث، م، مرجع سابق، ص 113

129 - عالم م ص 207، المقاومة و التاريخ العسكري المغاربي القديم، الجزائر، 2007، ص 281.

130 - Ait Amara, O., 2007, Recherche sur les Numides et les Maures face à la guerre depuis les (4) Guerres puniques jusqu'à l'époque de Juba 1er, thèse de doctorat, Université de Lyon3, p.366.

131 - Hamdoune, Ch., 1999, p.69-70.

132 - Strabon, XVII, 3,7. , Silius Italicus, XVII,65.

133 - Strabon, Ibid, XVII, 3, 7.

134 - Brizzi, G., 1997, « Une coutume de guerre des numides : réflexions d'après Quelques épisodes (3) Des compagnes d'Hannibal », BCTH., XXIV, p.55.

135 - Hamdoune, op.cit , p.70

136 - Ibid, p.70-71.

الرومان بخفته وسرعته، كان يعاني من نقص في التوازن، مما دفع المؤلفين الرومان إلى إضفاء صفة الاستعراض عليهم، نظرًا لطريقة قيادتهم وامتطائهم للخيول التي كانت تخلو من الشكائم واللجام<sup>137</sup>.

يعود الفن والبراعة في الفروسية للنوميديين إلى أنها كانت جزءًا أساسيًا من حياتهم اليومية، حيث كانت الفروسية ليست مقتصرة على الاستخدام العسكري فقط، بل كانت جزءًا لا يتجزأ من نمط حياتهم. فقد كان الركوب والفروسية للترفيه والرياضة أمرًا شائعًا بين النوميديين، بخلاف الرومان الذين اعتبروا الفروسية منظورًا طبقيًا واقتصروا ممارستها على الطبقات الثرية دون غيرها<sup>138</sup>.

أما فيما يتعلق بفرق الخيالة النوميديّة الثقيلة، فقد لاحظ الباحث فرانسوا بيرتراندي تطورًا متأخرًا في فترة حكم الملك النوميدي يوبا الأول. فقد كان ليوبا الأول رغبة وإرادة في تنظيم فرق من الخيالة الثقيلة، إلى درجة أنه قام بتمثيل نفسه على ظهر خيل مجهز بسرج ولجام. وقد اقترن تمثال الفارس الذي عشر عليه في منطقة شمتو بيوبا الأول، بتلك الفترة. ومع ذلك، هناك اعتبارات تشير إلى أن تمثال الفارس في شمتو قد يكون جزءًا من تماثيل تجسد الآلهة المحلية، وليس بالضرورة يرتبط بالفرق الثقيلة للخيالة النوميديّة<sup>139</sup>.

#### سادسًا: فرق المشاة.

تتميز فرق المشاة النوميديّة بمهارة فائقة في استخدام أسلحة الرمي الخفيفة، مثل الرماح والنبال والمقاليع. فقد أشارت السجلات التاريخية إلى وجود فرق من المشاة في جيش الملك ميكييسا بقيادة يوغرطة، قدموا الدعم لروما خلال حروبها في إسبانيا ضد نومانس في عام 134 قبل الميلاد<sup>140</sup>.

تجلى أساليب القتال للمشاة النوميديّة من خلال الوصف الذي يقدمه مؤلف الحرب الإفريقية، الذي يؤكد على سرعة وحيوية هؤلاء المشاة وتكاملهم مع الفرسان في المناورات العسكرية<sup>141</sup>.

تتصف فرق المشاة النوميديّة بفعالية عالية، حيث تثير القلق والاضطراب في صفوف العدو بفضل استخدامها الرامي للرمح، مما يجد من قدرة الفرسان على المشاركة في المعركة. كما تتعب فرق المشاة العدو بسرعتها عند المطاردة، مما يجعلها تفلت من الهجمات المعاكسة بسرعة فائقة<sup>142</sup>.

فرق المشاة النوميديّة أثارت الدهشة في صفوف مشاة الرومان الثقيلة، الذين واجهوا صعوبة أمام السرعة والمهارة التي يتمتع بها المشاة النوميديون في المعارك. تعتمد أساليبهم على السرعة في التنفيذ والمهارة في الاستخدام، مما يجعلهم قوة لا يمكن تجاهلها على ساحة المعركة<sup>143</sup>.

<sup>137</sup> -Silius Italicus ,op.cit, XVII, 65 ; Hamdoune, op.cit, p.71.

<sup>138</sup> -Hamdoune, op.cit, p.71.

<sup>139</sup> -Bertrand, F., 1986, « A propos du cavalier de simithus chemtou », AntAfr., t.22,Paris, p.57.

<sup>140</sup> -Appien, Iber., 14, 89 ;Hamdoune, Chr., 1999, p.66-67.

<sup>141</sup> -César, Guerre d'Afrique, trad.A.Bouvet, Paris, 1949, XIII ;XIV ; LXIX.

<sup>142</sup> -Ibid, LXXI.

<sup>143</sup> -Ibid, LXIX.

إذا كانت فرق المشاة النوميديّة الخفيفة محل إعجاب ومدح القدماء، فإن الوضع يتغير بالنسبة لفرق المشاة الثقيلة، حيث كانت الرومان يتفوقون بلا منازع في هذا المجال. لم يكن لدى النوميديين خبرة كافية في تنظيم وتجهيز فرق المشاة الثقيلة، مما دفع الملك سيفاكس إلى طلب مساعدة الوفود الرومانية لتدريب جنود مشاة على الطريقة الرومانية<sup>144</sup>.

تشير رواية تيتوس ليفيوس إلى أن الملك النوميدي سعى جاهداً إلى تحديث جيشه وتنظيمه، وكذلك معادلة البونيقيين في قوتهم العسكريّة. كانت هذه الخطوة تعكس الاهتمام النوميدي بتطوير تكتيكاتهم العسكريّة وتعزيز قدراتهم، وتحسين الجاهزية العسكريّة لمواجهة التحديات الجديدة<sup>145</sup>.

### سابعا: البحرية النوميديّة

الإشارات التي تدل على وجود بحرية نوميديّة قليلة، تعود إلى الفترة السابقة للمماليك النوميديّة. من بين هذه الإشارات، نجد نقشاً غائراً لسفينة ليو - بونية على الحوانيت (Haouanet) كانت هذه السفن الممثلة ثلاثية وخماسية الدفع. ومع ذلك، كان الاهتمام الفعلي بالبحرية يظهر في عهد الملك "ماسينيسا".

حسب ما يرويّه لنا فالير ماكسيم، فإن الماسينيسا قام بتجهيز سفينة خماسية الدفع لإرجاع نابي الفيل اللذان قدمهما له كهديّة أمير البحر النوميدي<sup>146</sup>، الذي أخذها من معبد جانو (Junon) في مالطا. يُظهر هذا الوصف العثور على آثار البحرية النوميديّة وتاريخها القديم، والتي قد تكون قليلة في الوثائق ولكنها تبرز أهمية وجودها في العصور القديمة<sup>147</sup>.

يُظهر المقتطف من رواية فالير ماكسيم أن قيادة الأسطول البحري كانت بيد الملك النوميدي، الذي كان يقود أيضاً الجيش البري. يُشير النص أيضاً إلى استخدام الملك النوميدي ماسينيسا للسفن الخماسية الدفع، والتي كانت شائعة لدى القرطاجيين والرومان<sup>148</sup>.

بعض الباحثين يُفترض أن الملك الماسينيسا سيفاكس قد امتلك بحرية، ويرجع ذلك إلى ملكيته لميناء سيقا الذي كان يُعرف بالميناء الملكي، والاشتباكات التي حدثت بينه وبين قرطاجة بشأن ملكية بعض المواقع الساحلية<sup>149</sup>.

<sup>144</sup> -Hamdoune, op.cit , p.69, Ait Amara , op.cit, 2007,p.367.

<sup>145</sup> -Tite -Live, op.cit, XXIV , 48, 5.

<sup>146</sup>-Ait Amara, O., 2008, Les Numides et les Maures possédaient-ils une flotte de Guerre ? », (5) Aquila Legionis, X,Espagne, p.8.

<sup>147</sup> -Valère Maxime, Faits et dits mémorables, trad.R.Combes , Paris, 1995, I, ext.2.

<sup>148</sup> -Ait Amara, O., 2008, p.9-10.

<sup>149</sup> -Médas, S., 2000, La Marineria Carthaginense , p.267-268, d'après Ait Amara, O.,2008, (3) p.10

كما وجدت بحرية نوميدية في عهد الملك النوميدي يوبا الأول، واستخدمت هذه البحرية في الغالب لأغراض عسكرية في حروبه ضد القائد الروماني قيصر في إفريقيا. يشير مؤلف الحرب الإفريقية إلى امتلاك يوبا الأول لبحارة عسكرية ومجدفين من الجيتول، الذين خدموا في جيوش يوبا الأول<sup>150</sup>. بالإضافة إلى الجوانب العسكرية، كان لنوميديا أسطول تجاريًا. وكان للملك ماسينيسا علاقات تجارية مع جزر الإغريق، خاصة جزيرة رودس وتاروس، حيث كان يحصل على العاج والأخشاب من المملكة النوميديية. كان الأسطول التجاري النوميدي معززًا بسفن حربية، التي كانت تضمن الحماية وتصد المداهمات القرصنة<sup>151</sup>.

### المطلب الثاني: العتاد الحربي

عند استعراض النصوص الكلاسيكية التي تناولت موضوع الخيالة النوميديية، نلاحظ التركيز الكبير على الجانب الاستراتيجي والأساليب القتالية المتبعة. يظهر ذلك في كثرة اللقى الأثرية والصور المنقوشة التي تجسد هذه الأسلحة، مما يثير التساؤلات حول القيمة الرمزية والفعالية لهذه الأسلحة. فعلى سبيل المثال، يتضح أن الأسلحة التي استخدمها النوميديون، سواء كانت هجومية أو دفاعية، كانت تتميز بالخفة والتحكم، مما يسمح للمقاتلين بالحركة السريعة والفعالة خلال العمليات القتالية. ومن بين هذه الأسلحة، يمكن ذكر:

#### أولاً: الرماح

وفي مرجعية استرابون، الذي قدم معلومات ثمينة حول المعدات الحربية للمقاتل الإفريقي القديم<sup>152</sup>، تم تسمية الرمح كالسلاح الرئيسي للنوميديين. كان هذا السلاح مستخدماً من قبل المشاة والفرسان النوميديين، ولقد تم ذكر الرمح أيضاً بتسمية "القذيفة" من قبل بعض المؤلفين القدامى، وربما كان السبب وراء هذه التسمية هو قوة وصلابة الرماح النوميديية الحادة والفعالة<sup>153</sup>.

كانت هذه الرماح تتميز بعضا قصيرة لتسهيل المواجهة المباشرة، وبالنسبة لطولها، فإن الرماح التي عثر عليها في موقع مسلات أبيزار لم تتجاوز المتر الواحد<sup>154</sup>، مما يجعلها متساوية في الطول مع الساقاي (Sagaies)<sup>155</sup>، وهو سلاح آخر يعود تاريخه إلى فترة قريبة.

تلاحظ أن الرمح النوميدي لم يكن مقتصرًا على الاستخدام كسلاح للرمي فقط، بل كان له استعمالات أخرى متنوعة، كما يظهر ذلك من خلال الفحص الدقيق للفارس النوميدي الذي كان يحمل في يده اليسرى رمحين إلى ثلاثة رماح بجانب الدرع في مسلة أبيزار (انظر الصورة رقم 1). يمكن أن يعزى

<sup>150</sup> -Ait Amara, O., 2008, p.16, Ait Amara, O., 2007, p.367

<sup>151</sup> -غلام، م ص 2007، ص 284

<sup>152</sup>-Camps, G., «Javelot », EB.,XXV,Aix- En-Provence, 2003 p.3857.

<sup>153</sup> -Ibid.

<sup>154</sup> -Tite-Live, Ibid, XXII, 37, 8.

<sup>155</sup> -Hamdoune, op.cit, p.66.

استخدام النوميديين لهذه الرماح بكثرة في معاركهم إلى استراتيجيتهم العسكرية المتميزة، حيث كانوا يتجنبون المواجهة المباشرة مع العدو، وهو ما سمحت به هذه الرماح باحتفاظ العدو بعيداً<sup>156</sup> .

تم العثور على هذا السلاح في مدافن وقبور الغرب الجزائري وفي المنطقة الوهرانية، كما تم تحسيده على النصب والمسلات مثل نصب معبد الحفرة في قسنطينة، ومسلات أبيضار في منطقة القبائل، بالإضافة إلى وجوده في الرسوم الصخرية في الصحراء. هذه الاكتشافات تشير إلى دور هام للرمح النوميدي ليس فقط كسلاح، بل كجزء لا يتجزأ من التراث الثقافي والتاريخي للمنطقة، وكذلك دلالة على تطور الاستخدامات العسكرية والاجتماعية لهذا السلاح عبر العصور<sup>157</sup>

### ثانياً: الدرع

يعود استخدام الرمح النوميدي إلى العهد النبوليتي، حيث استمر استخدامه كسلاح دفاعي بين الطوارق<sup>158</sup>. كما استخدم الفرسان والمشاة النوميديون الدروع الدائرية الشكل للحماية، ولكن اختلف استخدامها بين الفرسان والمشاة، حيث استخدم الفرسان التروس الصغيرة الحجم كسلاح دفاعي، بينما استخدم المشاة دروعاً أكبر حجماً<sup>159</sup>.

وفقاً لما ذكره سترابون، استخدم الليبيون دروعاً دائرية الشكل وصغيرة الحجم مصنوعة من جلود الفيلة. تميزت الدروع النوميديية بخفة وزنها، وقلة الضجة التي تحدثها نتيجة التطامها، نظراً لاستخدام الجلد في صنعها. كما اعتمد الرومان، على غرار النوميديين، على الدروع المصنوعة من الجلد<sup>160</sup>.

تبرز هذه النقاط الاستخدامات المتعددة والمميزات التكتيكية للدروع النوميديية، مما يشير إلى دورها الهام في تكتيكات الحرب والتكيف مع الظروف المحيطة في الزمان والمكان<sup>161</sup>.

وفقاً لتيتوس ليفيوس، فإن درع الفارس النوميدي يكون محكوماً في يده اليسرى أثناء الحركة، أما خلال المشي فيحمله على ظهره. ومع ذلك<sup>162</sup>، يشير إلى أن هذا الدرع يميل إلى الانزلاق والتزحزح من على ظهر الفارس، مما يجعله يعلق بجانبه.

<sup>156</sup> - Hamdoune, Ibid, p.72-73.

<sup>157</sup> - Camps , G., 2003, p.3857.

<sup>158</sup> - Camps , G., « Bouclier », EB., X, Aix-En-Provence, 1991, p.1585

<sup>159</sup> - Camps , G. L'op.cit,

<sup>160</sup> - Strabon, op.cit, XVII , 3,7.

<sup>161</sup> - Salluste, op.cit, XCIV,1.

<sup>162</sup> - Tite- Live, op.cit, XXII , 48, 23.

يتجلى تجسيد وتمثيل هذه الدروع في مسلات أبيزار، حيث يُعرض الدرع إلى جانب الرماح. كما يظهر الدرع في الأنصاب والنقوش اللبية في منطقة سيلة بقسنطينة، بالإضافة إلى ظهوره في نصب معبد الحفرة بقسنطينة، حيث يظهر نوعاً آخر من الدروع وهي الدروع المستطيلة الشكل<sup>163</sup>.

يرى بعض الباحثين في الدرع السلاح الدفاعي الوحيد الذي استخدمه النوميديون، وهذا يبرز أهمية الدروع كعنصر أساسي في تكتيكات الحرب والدفاع لدى النوميديين، وكذلك يسلط الضوء على تنوع أشكال الدروع التي استخدموها وتطور استخداماتها عبر العصور.

### ثالثاً: القوس:

ظهر القوس كسلاح في منطقة شمال إفريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث استخدمه الليبيون في حروبهم ضد المصريين. وخلال الفترة التاريخية، يشير المؤلف أبيانوس إلى وجود قواسين ضمن الجيش الذي بعثه ميكيسا لمساندة روما في حربها في إسبانيا.

بالإضافة إلى ذلك، يصف ستيفان فزال استخدام النوميديين لسلاح القوس بالاستخدام المحدود. هذا التنوع في الاستخدامات يشير إلى دور القوس كسلاح مهم في تكتيكات الحرب في المنطقة عبر العصور، بدءاً من العصور القديمة وصولاً إلى العصور التاريخية.

### رابعاً: المقاليع:

يشير النص إلى استخدام أكياس الجلد المملوءة بالحجارة التي استخدمها الليبيون القدماء، حيث عوضتها المقاليع. يذكر أبيانوس وجود جنود مقلاعيين أو رماة للمقاليع في الفرق المساعدة التي قدمها ميكيسا للرومان خلال حربهم في نومانس الإسبانية<sup>164</sup>. يُعتقد أن النوميديين قد استخدموا المقاليع نتيجة تأثرهم بالقرطاجيين الذين كانوا يستخدمون هذا السلاح.

هذه الوثائق تسلط الضوء على التطورات في التكتيكات الحربية واستخدام الأسلحة عبر العصور، حيث كانت القوات تتبنى وتنكيف مع أحدث التكنولوجيا والأساليب العسكرية المتاحة لها، مما يبرز تطور الحرب وتغيراتها عبر الزمان والمكان.<sup>165</sup>

### خامساً: الخناجر أو السكاكين:

<sup>163</sup> -Ait Amara, op.cit, p.365.

<sup>164</sup> - فزال ، س، 2007 ، ج 1 ، ص 42.

<sup>165</sup> - نفسه.

يستعمل النوميديون السكين كسلاح هجومي، وهو سلاح يصلح أيضاً للصيد. في السياق الحربي، استخدم النوميديون السكين خلال عمليات المطاردة، حيث يقومون بطعن العدو وتوجيه طعنات من الأسفل إلى الأعلى، مما يؤدي إلى قطع الأوتار والفخذين والركب من الأعداء<sup>166</sup>. مما يساعد في إسقاطهم من على ظهور أحصنتهم. كما يأتي استخدام السكين غالباً في المرحلة الأخيرة من المعركة للقيام بعمليات ذبح وتعذيب المنهزمين<sup>167</sup>

تيتوس ليفيوس يشير إلى استخدام النوميديين لهذا السلاح الخفي في معركة كانه في 216 ق.م<sup>168</sup>، كما ذكره سترابون ضمن المعدات الحربية لسكان شمال إفريقيا القدماء. ويشير ستيفان قرال إلى استخدام النوميديين للسكين في المواجهات المباشرة التي كانوا يتفادونها<sup>169</sup>. يظهر من هذه الوثائق استخدام السكين كسلاح قتالي فعال لدى النوميديين، ويبرز دورها الحاسم في عمليات الهجوم والمطاردة وكذلك في المواجهات القتالية المباشرة عند الضرورة.

#### سادسا: الخوذة والسيف

على الرغم من أن الخوذة والسيف لم تكن من الأسلحة المعتادة عند الفرسان النوميديين، إلا أنها تُعتبر من الأسلحة الواردة واستخدامها كان محدوداً. تم العثور على بقايا هذه الأسلحة في صومعة الخروب، وتم تجسيدها أيضاً في نصب معبد الحفرة. يُظهر هذا الاكتشاف أن الفرسان النوميديين ربما استخدموا الخوذة والسيف في بعض الحالات، ورغم أن استعمالهم لهذه الأسلحة كان محدوداً، إلا أن وجودها يشير إلى التطورات في تكتيكات الحرب والتأثير الثقافي والعسكري للثقافات الأخرى على النوميديين.<sup>170</sup>

#### سابعا: الحصان

الحصان النوميدي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من التراث النوميدي، حيث تتميز هذه السلالة الفريدة بخصائصها الفريدة ودورها البارز في حياة النوميديين<sup>171</sup>. يصف تيتوس ليفيوس، بالإشارة إلى الأحصنة النوميديّة، بأنها "هزيلة" وخالية من الفخامة، مما يبرز سمات بساطتها وعدم تصنيعها. وفي تصوير سترابون، يتم التركيز على ارتفاعها المتواضع وحيويتها، مما يعكس قدرتها على الانقياد لصاحبها بسهولة، حيث يمكن للفارس

166 - نفسه، ص 39

167 - Brizzi, G., 1997, p.55.

168 - Tite- Live, op.cit, XXII , 48, 4

169 - Strabon, op.cit, XVII , 3, 7.

170 - Strabon, op.cit, XVII , 3, 7.

171 - Lassère, JM., « Le cheval barbe à l'époque antique »,EB., IX, Aix -En -Provence,p.1355.

التحكم فيها بسهولة عن طريق العصا دون الحاجة إلى لجام، وهو ما يجسد التواصل القوي بين الفارس وحصانه<sup>172</sup>.

تعتبر الأحصنة النوميديّة لدى النوميديين ذات قدرة عالية على التحمل، حيث يشير أبيانوس إلى صبرها على الجوع ومقاومتها للعطش، مما يعكس ميزة البساطة والصبر التي تتمتع بها الفصيلة الملتحجة. كما تظهر قدرتها على الاندماج في جميع ميادين المعارك، مما يعكس قدرتها على المشاركة في مختلف الأنشطة العسكرية<sup>173</sup>.

تحتل الخيول مكانة خاصة في المجتمع النوميدي، حيث تعتبر الفروسية جزءًا من حياتهم اليومية، ويؤكد تيتوس ليفيوس على شهادة الملك سيفاكس حول أهمية الحصان في تاريخ النوميديين<sup>174</sup>. ومن اللافت أيضًا استخدام الحصان كرمز للسلطة والثراء، حيث تجسد صورته على العملات الملكية وتتواجد في النصب التذكارية، مما يعكس قيمتها الثقافية والاجتماعية<sup>175</sup>.

بالإضافة إلى الاستخدامات العسكرية، شاركت الخيول النوميديّة في الأنشطة الترفيهية والرياضية، مما يعكس تنوع استخداماتها وتأثيرها العميق على حياة النوميديين<sup>176</sup>.

#### ثامنًا: الفيل :

تأتي دورة الفيلة في الحروب في المرتبة الثانية بعد الحصان، وتتميز فيل الشمال الإفريقي بصفات فريدة تميزه عن غيرها من الفيلة، حيث يشمل ذلك قصر قامته، وصبره على العطش، ومقاومته للحرارة، مما يجعلها قطعة أساسية في المعدات الحربية للقوى القرطاجية والنوميديّة على حد سواء<sup>177</sup>. يُلقب سيلبيوس ايتاليكوس الضوء على ثروة الملك سيفاكس<sup>178</sup>، حيث يمتلك أنياب فيلة تمثل جزءًا من ثرواته، مما يعكس أهمية هذا الحيوان العملاق في الثقافة والاقتصاد النوميدي<sup>179</sup>.

وفي سياق الاستخدام العسكري، يظهر أن النوميديين لجأوا إلى استخدام الفيلة في معاركهم، حيث اشتهر يوغرطة باستخدامه في معركة موثول ويوبا الأول في معركة تابسوس<sup>180</sup>. كانت هذه الفيلة مسلحة ومجهزة بأبراج، مما يظهر استخدامها كوسيلة فعالة في المعارك البرية. وقد أشار سترابون إلى استخدام المشاة الليبيين لجلود الغيلة كدروع واقية، مما يبرز التكامل بين الفيلة والمشاة في الاستراتيجيات الحربية للنوميديين<sup>181</sup>.

<sup>172</sup> - Tite- Live, op.cit, XXXV , 11,7-8.

<sup>173</sup> - Strabon , op.cit, XVII , 3, 7.

<sup>174</sup> - Appien, Histoire Romaine, L'Africain, IV, trad. P.Goukowsky ,Paris, 2002, 11, 43

<sup>175</sup> - Spruytte, J., 1991., « Le cheval de race barbe », EB., IX, France, p.1353.

<sup>176</sup> - Tite -Live ,op.cit, XXIV ,48, 5.

<sup>177</sup> - Ait Amara , O., 2007, p.366.

<sup>178</sup> - Appien, Iber .,14, 89

<sup>179</sup> - Silius Italicus , XVI , 175

<sup>180</sup> - Salluste, LIII

<sup>181</sup> César, LXXXVI.

ويعكس ظهور الفيلة على العملات الملكية واهتمام الملوك النوميديين بها أهمية هذا الحيوان في الحياة الثقافية والسياسية للمملكة النوميديّة<sup>182</sup>. ويقترح ستيفان قزال أن استخدام الفيلة في معارك النوميديين قد يكون نتيجة لتأثرهم بالأساليب الحربية القرطاجية، مما يعكس التبادل الثقافي والتأثير المتبادل بين الثقافات في المنطقة<sup>183</sup>. (أنظر الملحق رقم 04 و05 و06 و07)



صورة 1: نصب ابيراز يمثل محاربا من الامام راكبا فوق حصان يمسك بيده درعا و ثلاثة رماح (متحف الاثار القديمة . الجزائر 2013 )

<sup>182</sup> - Tite- Live, op.cit, XXV, 34, 13-14, César, op.cit, XIII ; XIV, Salluste, LIX, 2

<sup>183</sup> - De lamalle , D.,1852, Histoire des guerres des Romains , des Byzantins et des Vandales, Paris , p.55.

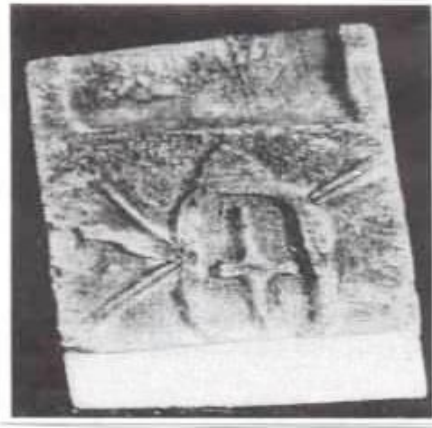


صورة 2: يمثل نصبين عثرا عليهما في معبد الحفرة و يجسدان نوعا من انواع الاسلحة النوميديية و هو الدرع المستدير

المراجع : Berthier,A., Charlier,L., 1952, Le sanctuaire punique d'el- Hofra a Constantine , paris, pl. XVIII , A, XVIII, C.



صورة 3: نصب يجسد العتاد الحربي الكامل للفارس النوميدي  
المراجع : Berthier,A., Charlier, L., 1952, pl.XVII, A.



نقوش بونية من معد الحفرة سطر عليها حرف ووظائف مارسها النوميديون خلال القرن الأول ق. م هي  
رئيس المشاطرة (الضابط) والنجار والسباك

نقلا عن : محمد الصغير غاتم ، سيرتا النوميديّة ، ص. ص. ( 253.236.245 ).

# الفصل الثاني:

التأثيرات البونية والأفريقية في المجتمعات

المغربية وأنظمتها الاقتصادية

## تمهيد:

تلعب التأثيرات البونية (الفينيقية) والإغريقية (اليونانية) دورًا محوريًا في تشكيل تاريخ المجتمعات المغاربية وتطوير أنظمتها الاقتصادية. عبر قرون من التفاعل والتبادل الثقافي، نقلت هذه الحضارات معارفها وتقنياتها إلى شمال إفريقيا، مما ساهم في إثراء البنية الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة. امتدت هذه التأثيرات إلى مجالات متنوعة، من الزراعة والصناعة إلى التجارة والبنية التحتية. يستعرض هذا الفصل الكيفية التي أثرت بها الحضارات البونية والإغريقية على الأنظمة الاقتصادية في المجتمعات المغاربية، مبررًا الدور الحيوي الذي لعبته هذه التأثيرات في تعزيز النمو الاقتصادي وتطوير أساليب الإنتاج والتبادل التجاري.

## المبحث الأول: المكونات الاجتماعية

تعد دراسة المكونات الاجتماعية في المجتمعات المغاربية القديمة أمراً أساسياً لفهم التفاعل بين الحضارات وتأثيراتها المختلفة على النسيج الاجتماعي المحلي. خلال الفترات البونية (الفينيقية) والإغريقية (اليونانية)، تأثرت الهياكل الاجتماعية في هذه المنطقة بشكل كبير نتيجة للتفاعلات المستمرة مع هاتين الحضارتين المتقدمتين. ساهمت هذه التفاعلات في تشكيل وتنوع المكونات الاجتماعية، حيث تعايش سكان المدن المزدهرة مع سكان الأرياف الزراعية، وتفاعلت هذه المجموعات مع القبائل المتنقلة التي كانت تلعب دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. في هذا المبحث، سنستعرض تأثيرات الحضارات البونية والإغريقية على المكونات الاجتماعية في المجتمعات المغاربية، مع التركيز على سكان المدن وسكان الأرياف والقبائل المتنقلة، وكيف تفاعلت هذه الفئات المختلفة وأسهمت في تكوين مجتمع متماسك ومتعدد الثقافات.

## المطلب الأول: سكان المدن والحضر

كانت فئة الحضر قليلة العدد نسبياً في بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني بالمقارنة مع كثرة أفرادها أثناء التوسع الاستيطاني الروماني الذي ساهم في تنمية العمران<sup>1</sup> وإيجاد الهياكل المدنية المساعدة على العيش الرغد في المدن، فانجذب الناس إليها أفراداً وجماعات رغبة منهم في الحياة الرفيعة الأمانة.

صحيح ان الحضر كانوا يشكلون نسبة هامة في المجتمع البونيفي الليبي، وخاصة في الشريط الساحلي من البلاد، وأن الممالك المغربية المعاصرة للقرطاجيين شجعت السكان على الاستقرار والتمدن فازدهرت المدن واشتهر بعضها بكثرة السكان غير أن الطابع المدني الذي اتسمت به سياسة روما في بلاد المغرب كان عاملاً رئيسياً في توسيع خريطة العمران نحو الداخل وارتفاع نسبة الحياة الحضرية في مجتمع افريقيا الروماني الذي لعب الوافدون في بنيتها دوراً أساسياً<sup>2</sup>.

لقد تطورت الحياة الحضرية في افريقيا وأخذت تتلون باللون الايطالي منذ أن حلت جموع المهاجرين الايطاليين بالحواضر المغربية أواخر العهد الجمهوري وأثناء العهد الامبراطوري الأول، إذ كان من الطبيعي أن يعمل الوافدون على تنظيم حياتهم على الطراز الايطالي الذي ألقوه. ثم ما لبثت الطبقة المتمدنة من الأهالي أن أخذت في تقليد أصحاب السلطة الايطاليين. وقد شجع الأباطرة هذه النزعة الحضارية وأحاطوها برعايتهم. إذ كان يهمهم أن يروا أساليب الحياة الرومانية سائدة في أوساط المجتمعات الخاضعة لروما عبر الولايات لان في ذلك تعزيزاً معنوياً لسلطة روما وتمنياً السلطة الأباطرة في الأقاليم النائية. وقد تجلت عناية الأباطرة بهذه الظاهرة من خلال منحهم حقوق البلدة (**Municipia**) أو المستعمرة (**Coloniae**) الرومانية للحواضر التي تبرز فيها مظاهر الحياة الرومانية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> M. Ponsch, M. Tarradell, garrum et Undustries antiques de salaison dx dans la mediterrannée occidentale, Paris, P 9.

<sup>2</sup> Burdeau, N. Vharbonnel, M. Humbert, aspect de l'empire romaine, Paris (1996), P 64.

<sup>3</sup> Piganol, Histoire de Roma, P 115.

كانت فئة الحضر مكونة من الوافدين من مختلف جهات حوض المتوسط، وفي مقدمتهم الايطاليون بمختلف انتماءاتهم الجهوية أو القبلية. وكانوا يشكلون نخبة مجتمع المدينة وعنصر الزعامة فيه، وخاصة منهم الوافدون من مدينة روما. ثم الطائفة البرجوازية من الأهالي المتمتعين بالجنسية الرومانية وبقية العناصر الأخرى المنتفعة بالرعوية الرومانية. وتأتي بقية سكان المدينة الأحرار (**Incolae**) من غير المجنسين في درجات متفاوتة الأهمية تبعاً لتفاوت ظروفها الاقتصادية والاجتماعية.<sup>1</sup>

ويقلل بعض المؤرخين من أهمية الوافدين عديداً إذ يقول بأن سكان مدينة ما كانوا كالتالي: كمشة من الإيطاليين المختلطين. بعض من أهالي الولايات المختلفة عدد هام من الهجين المختلطي الدماء، والكثير من الأفارقة المرومين بينما يرى البعض الآخر أن معظم سكان المدن الافريقية كانوا من أصل أوروبي.<sup>2</sup>

ولا يهمننا التركيب الإثنني للحضر بقدر ما يعيننا البناء الاقتصادي والاجتماعي الذي كان يميزهم عن الفئات الاجتماعية الأخرى في المغرب الروماني. ذلك أن سكان المدن الأحرار أصبحوا بمرور الزمن في وضعية قانونية متماثلة عبر جميع أنحاء الامبراطورية مع اختلافات نوعية بينهم وبين سكان مدينة روما.<sup>3</sup>

تميزت البنية الاقتصادية والاجتماعية لسكان المدن باعتمادها على الاقتصاد الريفي الذي كان أحد المصادر الأساسية المعيشة للسكان في العصور القديمة. ويقول روستوفتزف في هذا السبيل: إن المدن لم تكن إلا طبقة علوية أساسها حياة ريفية زراعية قد تطورت ونمت. غير أن نمو الفلاحة وتوسع الخريطة الزراعية وتكاثر السكان نتج عنه تطور في الأعمال الحرفية داخل المدن وازدهار الحركة التجارية فيها. فضلا عن انتعاش المدن الساحلية التي أصبحت معبراً للصادرات الفلاحية نحو الخارج وهو ما كان يشكل مورداً هاماً لطبقة التجار الكبار في تلك الحواضر الساحلية التي اكتسبت شهرة تاريخية منذ زمن الفينيقيين باعتبارها محطات تجارية ونقاط اتصال بين بلاد المغرب والعالم الخارجي.<sup>4</sup>

وقد اتسع مجال النشاط الاقتصادي للحضريين فشمّل إلى جانب التجارة والحرف ميدان الصيد البحري الذي خلدت لنا لوحات الفسيفساء صوراً تذكارية عنه. وكانت عملية الصيد تشمل جميع الأسماك وتجنيفها. بقصد الحفظ والتصدير مما كان يتطلب يداً عاملة كثيرة وتجهيزات مناسبة كالمراكب ووسائل التصبير والحفظ، وهو ما ساهم في توفير الوظائف وبعث النشاط والحيوية في المدن الساحلية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> S ; Gsell, « Vieckes exploitations minières de l'Afrique du nord », in Hesperis, VII, 1928, P 11.

<sup>2</sup> S ; Gsell.,op.cit, p 12.

<sup>3</sup> Chastagnol, l'album municipal de timgad, Bonn, (1978), P 23.

<sup>4</sup> Ibid., P 23.

<sup>5</sup> Chastagnol.,op.cit, P 31.

## المطلب الثاني: سكان الأرياف

تشكل جمهور الريف في المغرب الروماني من عناصر بشرية مختلفة الأصول متباينة الأوضاع القانونية، وكانت نسب تلك العناصر متفاوتة بين إقليم وآخر تبعاً لتفاوت أهمية الأقاليم اقتصادياً ودرجة خضوع تلك الأقاليم السلطة روما ومن ثم كثرت نسبة الوافدين الايطاليين في أرياف الولاية البروقنصلية وفي نوميديا والشريط الساحلي من الموريطانيتين وولاية طرابلس. بينما قلت نسبهم في الأقاليم الداخلية من ولايتي موريطانيا وطرابلس، وانعدمت في السهوب الخاضعة للقبائل الرعوية وفي مناطق الجبال الداخلية ما عدا الأقاليم العسكرية منها التي انغرست فيها عناصر من قدماء الجنود<sup>1</sup>.

كانت الأرض في مناطق المدن ملكاً لأثرياء المواطنين الرومان المتحدرين من سلالة المعمرين (**coloni**) الأوائل، وللوافدين بوسائلهم الخاصة، وكذلك لأعضاء الطبقة الأرستقراطية من السكان الأصليين (الأهالي) المجنسين. ومنها ما كان تابعاً للبلديات من أراضي العموم (**ager poblicus**) وكان هؤلاء الملاك يديرون شؤون ضياعهم بأنفسهم أو بواسطة وكلاء من الفلاحين دون أن يفلحوا الأرض بأيديهم. فالعمل الزراعي في تلك الضياع كان يمارسه فلاحون من الأهالي أو الوافدين كأجراء أو مستأجرين لان اصحاب هذه الأراضي كانوا يقيمون في المدن مشكلين الطبقة الوجيهة في مجتمعها كما سلف شرحه<sup>2</sup>.

وهكذا تجمع في مناطق المدن الزراعية عدد كبير من الفلاحين الأجراء أو مستأجري الأرض والملاك الصغار إلى جانب أرباب الضياع الذين لم يكونوا يزورونها سوى للترفيه والاستحمام. وكانت ضواحي المدن وأقاليمها الزراعية خاصة بكثافة بشرية ريفية عالية، خلدتها آثار القرى والأحياء الفقيرة التي كانت منتشرة في ضواحي المدن الزراعية<sup>3</sup>.

وكانت أملاك الامبراطور الواسعة (**sallus**) تتوفر على يد عاملة حرة إلى جانب العبيد تمثلت في المزارعين (**coloni**) المتعاقدين الذين أبرزتهم النصوص التشريعية الفلاحية، وفي جموع الفلاحين الاجراء الموسمين (**inquilini**) الذين كانوا ينزلون بجوار أراضي الضياع الامبراطورية أو غيرها طلباً للعمل أثناء مواسم التشغيل<sup>4</sup>.

وقد تحكمت الطبيعة القانونية للأرض إلى حد ما في تحديد نوعية المرتبطين بها من الريفيين حيث إنه يمكن القول بشيء من التجاوز أن فلاحي أراضي المدن التابعة لبرجوازية المدن والبلديات كانوا في وضعية الأحرار بصفة عامة، في حين غلبت حالة الرق والتبعية على فلاحي الأملاك الامبراطورية الواسعة، خاصة في الفترة الأولى من الاستعمار الروماني. وهناك مميزات أخرى وهو أن فلاحي النوع الأول من الأراضي كانوا يقيمون في القرى القريبة من المدن أو في

<sup>1</sup> P. Fevrier, « aux origines de l'occupation romaine dans les hautes plines de setif », Les Cahiers de Tunisie, (1976), P 51

<sup>2</sup> Ibid., P. Fevrier ,P 52.

<sup>3</sup> Apuleius, métamorphose, trad, H-V, Betolaud, Paris, 1938, IX, P 35.

<sup>4</sup> Apuleius. op.cit, P 38.

المزارع، في حين كان مزارعو النوع الثاني من الأراضي أملاك الامبراطور متبائني الأنماط، منهم المستقرون وهم مؤجرو الأراضي والعييد ومنهم المؤقتون الذين كانوا ينزلون بالقرب من الأملاك أثناء موسم العمل ثم يغادرونها بعد انقضاء فترة التشغيل، وهم من السكان الأصليين (الأهالي) الذين أرغمتهم حركة الاستيطان الروماني على انتهاج أسلوب التحرك والاقتجاع ومنهم كان الحصد الذين ورد ذكرهم في المصادر الأثرية والذي يدعو إلى هذا التصنيف أن أملاك الامبراطور كانت منتشرة في الداخل وبعضها بعيد عن مناطق المدن متوغل في أقاليم القبائل ذات النمط الثنائي : الزراعة وتربية المواشي<sup>1</sup>.

غير أن الصورة العامة لسكان الريف هي أن جلهم لم يكونوا يملكون الأرض التي يحيون على أديمها ويكدون في حثها على مزيد من الإنتاج الذي كانت حاجة المدينة تزايد إليه باستمرار وأنهم كانوا يشكلون أغلبية سكان المناطق الزراعية، وإن طمس الزمن دلائلهم الأثرية وكانت معيشة هذا الصنف من الريفيين وخاصة منهم الأهالي، بدائية متواضعة فيها استمرارية ملحوظة لأسلوب معيشة ما قبل التاريخ وفجره. مساكنهم أكواخ حقيمة ولباسهم من جلود الحيوانات وغذاؤهم من أبخس أنواع المنتوجات الزراعية ومنها الشعير وجذور النباتات والألبان والحلزون أيضاً. ذلك أن المنتوجات الفلاحية الجيدة كانت تقدم لملاك الأرض، وخاصة منها القمح الذي كان أساس هذه الضريبة كما هو معروف. وربما اضطر أولئك المزارعون الفقراء لزراعة بعض الغلال التي لا يقبل على تناولها أهل المدن أو أصحاب الأرض ولا تدخل في قائمة الأنونا» قصد الاستهلاك المحلي. فالشعير مثلاً كان غذاء الفلاحين الأهالي الفقراء منذ قديم الزمن، وخاصة أثناء فترات السيطرة الأجنبية<sup>2</sup>.

### المطلب الثالث: القبائل المتقلبة

من الناحية البشرية كان البدو الليبيين أصلاء لم يخالطهم عنصر الدخلاء على خلاف الحضريين الذين تمازجت أصولهم بأصول الوافدين من مختلف أصقاع العالم الروماني، كما أنهم أنقى عنصراً من الريفيين الذين خالطهم المزارعون الايطاليون وغير الايطاليين. وتميزت حياة البدو الاجتماعية والاقتصادية بمحافظتهم على مقوماتهم التاريخية والطبيعية التي تحكمت في أساليب معيشتهم وحددت نوعية العلاقات بينهم وبين المزارعين والحضر، وكذلك موقفهم من سيطرة الرومان على الأرض واجراءات الحد من حريتهم. وينبغي أن نميز بادي ذي بدء بين نوعين من البدو في بلاد المغرب<sup>3</sup>.

**النوع الأول:** هو من أشباه المستقرين وكانت مواطنهم في الأقاليم الرعوية - الزراعية السهبية يمتنون الرعي والزراعة في آن واحد. وهم الذين كانوا أكثر تضرراً من جراء توسيع المساحة الزراعية من طرف الرومان ابتداء من القرن

<sup>1</sup> G. Ch. Piscard et J. Rougé, textes et documents relatifs à la vie économique et sociale dans l'empire romain, Paris, (1966), P 218-223.

<sup>2</sup> Ibid., P 218-223.

<sup>3</sup> CH. Courtois, « Saint augustin et le problème survivance du punique », R. Af, (1950), P 169.

الأول، باعتبارهم كانوا يعيشون في إقليم قابل للاستصلاح الزراعي وكانت قبائل الجينول الشمالية من هؤلاء، وكان هذا الصنف قابلاً للتحويل من الرعي والترحال إلى امتهان الزراعة والاستقرار، بحيث إن الفلاحة كانت تشكل أحد موارد معيشتهم. ثم إنهم كانوا على صلة وثيقة بالمزارعين بحكم الجوار<sup>1</sup>، وقد أجبرت الظروف الاستعمارية الكثير من هؤلاء على ترك الرعي والانخراط في صفوف العمال الزراعيين الموسمين الذين تكاثر عددهم بسبب أن حركة التوسع في زراعة الزيتون قد وفرت بعض فرص العمل لهذا الصنف من الأجراء<sup>2</sup>.

**النوع الثاني :** من البدو فهم الرجل الذين مارسوا حياة الرعي ولم يعتمدوا على غيرها في معيشتهم وهم الذين عرفوا بتنقلاتهم بين المراعي الصحراوية ومناطق الانتجاع في السهوب الشمالية الغربية على وجه الخصوص، ولم يكن هذا الصنف من البدو بمنجى من الاجراءات العسكرية التي اتخذها الرومان قصد الحد من ترحالهم نحو الشمال الزراعي (التل) الخاضع لسلطة روما، وعلى الرغم من أن البداوة قديمة جداً في بلاد المغرب بدليل أخبار هيرودوت عنها، ولكونها ظاهرة طبيعية حتمتها العوامل الجغرافية القاهرة إلا أن الاحتلال الروماني وسياسة الاستيطان البشري التي انجر عنها توسيع الخريطة الزراعية على حساب أراضي الرعي أمور ساهمت في مضاعفة ظاهرة البداوة بتحول الكثير من أشباه البدو إلى بدر خلّص بعد أن انتزعت منهم أراضيهم وأجبروا على امتهان أسلوب التحرك كسباً للقوت، وهكذا انضفت عوامل سياسية واقتصادية وبشرية إلى العوامل الطبيعية في تنامي مشكل البداوة وتفاقم خطرها في المغرب الروماني الذي بدا لبعض المؤرخين المبهورين بسياسة الاستيطان الرومانية أن الرومان قد تحكموا فيها<sup>3</sup>.

وليس لدينا من المعلومات التاريخية ما يدفعنا إلى تحديد وضعية هذه الفئة الاجتماعية في العهد القرطاجي وعلاقتها بالفئات الاجتماعية الأخرى من سكان المغرب القديم إلا أننا نعلم أنه في عهد الملوك النوميديين جرت محاولات موفقة لتنظيم الرعي وتشجيع الرحل على الاستقرار وامتهان الفلاحة بدل الرعي ويبدو أن اجراءات أمن قد اتخذت من طرف أولئك الملوك للسيطرة على البدو ومراقبة حركتهم<sup>4</sup>. والظاهر أن مميزات الادارة النوميديّة ونوعية الفلاحة التي كانت تربط السلطة المركزية فيها بسكان أقاليم المملكة قد ساهمت في تحقيق ذلك النجاح الذي سجله المؤرخون المعاصرون لها باندهاش. ويبدو من جهة أخرى أن العلاقة البدو والسلطة المركزية في الشمال لم تكن سيئة إذا لم نقل أنها كانت حسنة بدليل أن تجارة ما وراء الصحراء كانت رائحة منذ القدم وأن الذين مارسوا تلك التجارة لم تقم في وجوههم عوائق أمن كبرى تسببت فيها القبائل الجنوبية البدوية، بل إن من البدو من كان يمارس تلك التجارة مشكلاً همزة وصل بين مراكز التبادل في الشمال ووحدات الصحراء الكبرى خاصة أثناء النهضة الاقتصادية التي تحققت في

<sup>1</sup> Ibid., P 170.

<sup>2</sup> CH. S. aumagne, « La survivance du punique au V<sup>o</sup> au VI<sup>o</sup>siècle ap J-C », Karthago, IV, (1953), P 69-178.

<sup>3</sup> CH. S. aumagne, op.cit, pp 169-178.

<sup>4</sup> L. Leschi, « Cirta de la capitale numide à la colobis romaine, 3<sup>o</sup> cong. De la fed, des sav. De l'afrique di nord, Alger, (1938), P 25-42.

عهد الملوك النوميديين نتيجة توسيع مجال التبادل التجاري مع عالم المتوسط حيث أصبحت مدن نوميديا الكبرى أسواقاً تلتقي فيها السلع المستوردة بالمنتجة محلياً<sup>1</sup>، ويلتقي فيها التجار الوافدون من الشمال والجنوب للبيع والابتيع. غير أن الصورة ما لبثت أن تغيرت أثناء الاحتلال الروماني بوصفة احتلالاً استيطانياً اعتمد على الزراعة وال عمران المدني ونبت كل أشكال التحرك البشري الذي يصعب عملية السيطرة على البلاد ويهدد الأمن ويعوق حركة الاستعمار والتحكم في استغلال الأرض استغلالاً نافعاً. وقد تجلت خشية الرومان من ظاهرة البداوة منذ البداية، إذ قاموا بوضع حدود منيعة بين تراب الولاية الأفريقية التي كونوها على تراب الدولة القرطاجية عام 146 ق. م وبين أراضي الليبيين المجاورة. وهي الحدود المعروفة بخندق ريجا (**Fossa Regia**) المنسوب إلى القائد سيكيبيون اليميلي (**scipion Emilianus**)، إذ أنه يصعب أن تعتبر حفر ذلك الخندق مجرد فصل للأرض التابعة للرومان عن أراضي المملكة النوميديّة، خصوصاً إذا علمنا أن الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية من تلك الحدود كانت مفتوحة منذ العهد القرطاجي في وجه البدو الذين كانوا ينتجعون مناطق السهوب الشرقية مثل قبائل الموزولامي والوزوني والكابستاني الضاربة في الأقاليم الواقعة شمالي شط الجريد إلى جهة تبسة<sup>2</sup>.

ويظهر أن مربي المواشي كانوا متفطنين لنوايا روما الهادفة إلى الاستيلاء على الأراضي الخصبة القابلة للزراعة من التي كانت في حوزتهم، حيث تشير الأخبار مع قتلها واقتضابها إلى أن الاضطرابات كانت متواصلة في الجهات التي يؤمها هذا النوع من السكان، وأن البلاد لم تعرف هدوءاً يذكر في فجر الامبراطورية عهد (أوكتافيانوس وتيبريوس) من جراء ثورة البدو الجيتوليين على طول الحدود من خليج السيرت الكبير إلى جنوبي موريطانيا دون أن يأخذ الثوار في اعتبارهم الفرق بين الولايات الرومانية والمملكة الموريطانية الصورية ويبدو أن تلك الانتفاضات التي لم تنقطع طيلة أكثر من ثلاثين سنة<sup>3</sup> من فجر الامبراطورية قد نبهت الرومان إلى ضرورة التحكم في هذه الفئة المستعصية من الأهالي عن طريق استخدام الوسائل العسكرية وتمديد خريطة الاستيطان والتعمير عبر الجهات المتحركة. وقد شرع الامبراطور تيبريوس في تنفيذ هذا الأسلوب المزدوج في الجنوب النوميدي عبر أراضي قبائل الموزولامي الشهيرة التي قاومت بضراوة تلك الاجراءات التوسعية<sup>4</sup>.

ومن هنا بدأت العلاقات الجدلية التي ظهرت في تاريخ المغرب الروماني بين الليمس والبدو. وقد أولى مؤرخو إفريقيا الرومانية اهتماماً خاصاً للاستحكامات العسكرية التي أقامها الرومان للسيطرة على البدو أو للحد من تحركاتهم المؤذية (في نظر هؤلاء المؤرخين)<sup>5</sup>. وأشادوا بالجهود المضنية التي بذلتها المؤسسة العسكرية الرومانية في إنشاء الحصون

<sup>1</sup> L. Leschi., op.cit, pp 25-42.

<sup>2</sup> M. Rachet, Rome et les berbères, un problème militaire d'auguste à dioclition, coll. Latomus, vol 110, (1970), p 231.

<sup>3</sup> Ibid., P 233.

<sup>4</sup> J. Carcopino, « Syriens de la Numidie romaine » ; Syria ; XIV ; (1934), P 23-42.

<sup>5</sup> Ibid., P 23-42.

وبناء المعسكرات وشق الطرق الاستراتيجية عبر المناطق الجبلية وإقامة منشآت المراقبة في معابر البدو المؤدية نحو الشمال الزراعي، وتعمقوا في دراسة خصائص التجربة الرومانية في محاربة ظاهرة البداوة وإبراز فعالية تلك التجربة. لكننا قلما نعثر في هذا النوع من الدراسات على ما يفيد في التعرف على الآثار الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت عن تلك الاجراءات بالنسبة للبدو أنفسهم حيث يشعرون هذا الضرب من الدراسة بأن البدو كانوا يمثلون مصدر شر في إفريقيا الرومانية وأن عناصر الشر في البداوة كانت تتجلى في نظر الرعاة إلى إقليم التل الزراعي على أنه منطقة حيوية لا يمكنهم الاستغناء عنها في استكمال دورتهم الترحالية السنوية، وأن هذه النظرة هدامة لأنها مناقضة لروح التمدن وال عمران التي كانت تعمل روما على نشرها. ومن ثم فالتخلص من البداوة كان يشكل جزءاً رئيسياً من رسالة روما التمدينية في هذه البلاد.<sup>1</sup>

### المبحث الثاني: الأنظمة الاقتصادية

تمثل الأنشطة الاقتصادية العمود الفقري للتطور والنمو في أي مجتمع، وفي المجتمعات المغاربية القديمة، لعبت الزراعة والصناعة والتجارة أدواراً حيوية في تشكيل الاقتصاد المحلي والإقليمي. خلال الفترات البونية (الفينيقية) والإغريقية (اليونانية)، شهدت هذه الأنشطة الاقتصادية تحولات كبيرة نتيجة للتفاعلات المكثفة مع هاتين الحضارتين العريقتين. لقد جلب الفينيقيون والإغريق تقنيات وأساليب جديدة أسهمت في تحسين الإنتاجية الزراعية، وتعزيز القدرات الصناعية، وتوسيع شبكات التجارة. في هذا المبحث، سنستعرض التأثيرات البونية والإغريقية على الأنشطة

<sup>1</sup> L. Leschi.,loc.cit.

الاقتصادية في المجتمعات المغاربية، مع التركيز على المجالات الثلاثة الرئيسية: الزراعة، الصناعة، والتجارة، موضحين كيف أسهمت هذه التأثيرات في تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة وتكامل اقتصادي في المنطقة.

### المطلب الأول: الزراعة

#### أولاً: الزراعة:

اتفق المؤرخون القدامى على الدور الكبير الذي لعبه ماسينييسا في مجال الزراعة، حتى ذهب بعضهم إلى اعتباره مؤسس الزراعة في بلاد المغرب. وبينما لا يمكن إنكار مساهمة ماسينييسا في تطوير الفلاحة، فإن هناك مبالغة في تمجيد دوره من قبل النصوص القديمة. استناداً إلى الأدلة الأثرية، يمكن القول إن الزراعة في بلاد المغرب تعود إلى ما قبل زمن ماسينييسا بكثير. فقد اكتشف كومس أدلة في بعض الأدوات القفصية تشير إلى بداية الفلاحة أو على الأقل اهتمام الإنسان بالطبيعة، مثل المناجل المكتشفة في مناطق مختلفة من الجزائر الحالية والتي تعود إلى الحضارة القفصية العليا، مما يدل على أن الإنسان القفصي كان يجني الثمار في أوائل العصر الحجري الحديث، مع بدء تنظيم الزراعة في فجر التاريخ<sup>1</sup>.

#### 1. الملكية الزراعية:

لم ترد في أخبار القدامى معلومات دقيقة عن نظام الملكية عند النوميديين، لكن بعض التلميحات تشير إلى وجود أراضٍ ملكية تابعة للقصر، وأخرى للأمرء، وكذلك أراضٍ تابعة للمعابد بالإضافة إلى الملكيات الفردية الخاصة. لا توجد وثائق تحدد مدى سعة وانتشار كل نوع من هذه الملكيات أو طرق استغلالها. ومع ذلك، يمكننا افتراض سعة المزارع الملكية بناءً على نص ديودور الصقلي الذي ذكر أن ماسينييسا ترك عشرة آلاف بلترا لكل ولد من أولاده، مزودة بكل الأدوات الضرورية للاستغلال. كما تحدث فتروفيوس عن الأمير النوميدي الذي يمتلك أراضي واسعة في ضواحي زاما ريجيا<sup>2</sup>.

#### 2. استغلال الأراضي:

وفقاً للمؤرخين، ربما تم استغلال هذه الأراضي الملكية والأميرية بواسطة رجال أحرار، مثل أراضي البراري (Saltus) التي خلفتها، حيث كان هؤلاء الأحرار يستقرون في هذه الأراضي ويستغلونها مقابل دفع نصيب من الإنتاج لصاحب الأرض. أما الفلاحون الصغار فكانوا يستغلون أراضيهم بأنفسهم. بالنسبة لأراضي الرعي، لم تكن هناك ملكية فردية أو تقسيم للمرعى، حيث كانت المراعي تحت تصرف العشيرة بأكملها، وتوزع المواشي حيث يوجد المرعى. كما

<sup>1</sup> محمد الهادي حارث، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، د ط، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ص 115.

<sup>2</sup> G. Ch Pascard, La civilisation de l'affrique romaine, P 69.

كانت الأراضي غير الصالحة للزراعة تحت تصرف الجميع، وظل هذا النظام مستمراً حتى بعد الاحتلال الروماني، حيث استمرت الأراضي الجماعية تحت تصرف العشائر واستغلت من قبلهم، رغم أنها كانت تُعتبر أراضي رومانية وفقاً للقانون.

### ثانياً: أدوات الإنتاج:

#### 1. تقنيات وأدوات الفلاحة القديمة:

يرى العديد من المؤرخين أن المغاربة القدماء كانوا يمتلكون تقنياتهم الخاصة في مجال الفلاحة، وهي تقنيات قديمة تعود إلى ما قبل الفينيقيين بوقت طويل. امتازت المغاربة بعادات محلية مميزة، سواء في الأدوات المستخدمة أو طرق الاستغلال الزراعي. من بين الأدوات المستخدمة، نجد المجرفة التي استخدمها المغاربة القدماء قبل معرفة المحراث، بالإضافة إلى المعول وأنواع مختلفة من المعازيق المحلية. يعتقد الباحث كومس أن بعض الأدوات النيوليتية المكتشفة في المغرب تشهد على قدم استخدام هذه الأدوات في المنطقة. أما المحراث، فقد أكدت الدراسات وجود محراث محلي لم يكن للقرطاجيين أو الرومان دور في تطويره. في مجال الحصاد، كان الفلاحون يستخدمون المنجل منذ عصور ما قبل التاريخ<sup>1</sup>.

#### 2. طرق الدرس والتقنيات الزراعية:

في عملية الدرس، يمكن ملاحظة طريقتين: الأولى بدائية وما زالت تستخدم في بعض المناطق حتى اليوم، حيث تقوم الحيوانات مثل الثيران، الخيول، البغال، والحمير بدوس السنابل على البيدر. الطريقة الثانية أكثر تطوراً، وتستخدم فيها عربة تعرف بالعربة البونيقية (*Plostellum poenicum*)، تتكون من قطعتين من الخشب بعجلتين صغيرتين مسننتين من الحديد. يعتقد كل من الباحثين ديكري وفنظر أن هناك تقليدين متجانسين في الأعمال الفلاحية في نوميديا عشية الاحتلال الروماني: تقليد محلي أصيل وعادات واردة من الشرق مع الفينيقيين<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> R. M. Hyood, An Economic Survey of ancient Rome, Africa, 1959 , Tome 4, P 43.

<sup>2</sup> Harmand, Tocciden Romain, Paris (1970), P 369.

### ثالثاً: الإنتاج الزراعي:

#### 1. العناية بالفلاحة:

رغم ندرة الوثائق المتعلقة بالفلاحة في بلاد المغرب، فإن الموجود منها يشير إلى أن الفلاحة حظيت بعناية كبيرة في عهد الملك ماسنسان. توفرت في عهده جميع الشروط اللازمة لقيام نهضة فلاحية في نوميديا، بدءاً من الأرض. بالإضافة إلى أراضي الماسيل التي كانت تحتوي على مساحات واسعة لزراعة الحبوب، قدمت فتوحات ماسنسان

أراضٍ جديدة لمملكة نوميديا، منها أراضي المازيسيل الواسعة وأجزاء من الأراضي القرطاجية مثل سهول أمبوريا والسهول الكبرى<sup>1</sup>.

## 2. استقرار سياسي واهتمام بالفلاحة:

استمر الاستقرار السياسي والاهتمام بالفلاحة خلال حكم ابن ماسنسان، مكوسان (148 - 118 ق.م)، الذي واصل سياسة والده في النهوض بمرافق البلاد الاقتصادية. تشير المصادر التاريخية إلى أن هذا الاهتمام استمر حتى عهد حفصبل الثاني (80 - 60 ق.م)، الذي أقام له الإغريق تمثالاً في رودس تخليداً لعلاقاته بهذه الجزيرة. شهدت فترة ماسنسان تطوراً كبيراً في الإنتاج الزراعي، حيث أرسل عام 200 ق.م أربعة عشر ألف قنطار من القمح وعشرة آلاف وخمسمائة قنطار من الشعير إلى الرومان، بينما وصلت الكمية في عام 170 ق.م إلى سبعين ألف قنطار من القمح<sup>2</sup>.

### رابعاً: المنتجات الزراعية:

#### 1. الإنتاج النباتي:

احتلت الحبوب، مثل القمح والشعير، مكانة الصدارة في الزراعة النوميديّة، ولكن هذا لا يعني أن بقية المنتجات كانت مهملة. فقد عرف المغاربة القدماء البقول مثل الفول، الحمص، العدس، والجلبان منذ فترة مبكرة، وربما شهدت انتعاشاً في عهد الملوك النوميديين. كما كانت الخضروات تُزرع حول مراكز التجمعات السكانية مثل قيرطا، تبسة، ودوقة، حيث نجد زراعة البصل، الثوم، الخرشوف، الكراث، الخردل، القرع، الكوسى، البطيخ، والخيار. كما أنتجت المنطقة فواكه وفيرة مثل التين، العنب، اللوز، التمر، بالإضافة إلى الفواكه التي جلبها الفينيقيون والقرطاجيون مثل الزيتون، التفاح والرمان<sup>3</sup>.

#### 2. الإنتاج الحيواني:

أولى ملوك نوميديا عناية كبيرة لتربية المواشي، وخاصة تربية الخيول. لم يحل الاهتمام بالخيول دون الاهتمام بباقي الحيوانات، إذ تُظهر المصادر التاريخية اهتمام النوميديين بتربية الأبقار والأغنام والماعز بشكل واسع، وكانت تُضرب بها الأمثال عند الإغريق منذ عصر هوميروس وهيرودوتس. انتشرت تربية الحمير والبغال أيضاً، بالإضافة إلى تربية

<sup>1</sup> L. Homo, Rome Impériale et l'Urbanisme dans l'antiquité (1971), P 205.

<sup>2</sup> Ibid., P 209.

<sup>3</sup> H. Camps- Fabrer, l'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Alger (1952), P 12.

الدواجن مثل الديكة، الدجاج، الوز، والبط، مما وفر للفلاح موارد إضافية. كما عُرفت تربية النحل في المنطقة منذ عهود غابرة، من شهادة هيرودوتس في القرن الخامس ق.م إلى شهادة بليينوس في القرن الأول الميلادي، الذي أشاد بوفرة إنتاج عسل النحل وجودته.<sup>1</sup>

مما سبق نجد أن الزراعة في المجتمعات المغاربية قد تأثرت بشكل كبير بالتأثيرات البونية (الفينيقية) والإغريقية (اليونانية)، حيث جلب الفينيقيون تقنيات ري متقدمة، مثل نظم القنوات والسدود، التي حسّنت من استغلال الموارد المائية وزيادة الإنتاجية الزراعية. أدخلوا محاصيل جديدة كالعنب والزيتون، التي أصبحت أساسية في الاقتصاد المحلي، وعلموا السكان تقنيات تخزين المحاصيل لضمان الأمن الغذائي. من جانبهم، قدم الإغريق أدوات زراعية متطورة كالحراث الحديدية ونقلوا المعرفة العلمية في دراسة التربة ودورة المحاصيل، مما ساعد في تحسين أساليب الزراعة. كما نظموا المزارع بشكل أفضل، وعززوا التجارة الزراعية، مما أدى إلى تنوع المحاصيل وتوسيع الأسواق. هذه التأثيرات المتكاملة أدت إلى تطور الزراعة في المنطقة وزيادة الإنتاجية بشكل مستدام.

### المطلب الثاني: الصناعة

رغم أن المؤرخين القدامى لم يولوا اهتماماً كبيراً لما يمكن اعتباره النشاط الحرفي، فإن البقايا الأثرية والنقوش توضح تنوع وتعدد هذه الحرف. تُظهر هذه النقوش ممارسة المغاربة القدماء لسبك الحديد، وصناعة النسيج، والأقواس والسهام، والدباغة، والصبغة الأرجوانية باستخدام المريق، بالإضافة إلى صناعة الفخار.<sup>2</sup>

### أولاً: صناعة الفخار:

يُقسم الباحث كومس الفخار إلى فخار نذري، يستخدم لأغراض تعبدية فقط، وفخار عائلي موجه للاستخدامات اليومية، مما يؤدي إلى تنوع الأحجام والأشكال. أما الباحث قزال، فقد قسم الفخار العائلي بدوره إلى نوعين حسب اللون والزخرفة: النوع الأول يتضمن القدور والجفن والصحون والفناجين والمصاييح بلون رمادي أو داكن أو أسود، وهي غير مزخرفة وتُلمع جدرانها الداخلية. النوع الثاني هو الفخار المصبوغ، والذي يتميز بصناعة أكثر إتقاناً وتنوعاً. رغم كونه ريفياً، فإنه مزخرف باللون الأسود أو الداكن، مع اللون الأحمر، ويُلمع بطبقة رقيقة من الصلصال بلون سكري، والزخرفة تكون هندسية تُرسم بالفرشاة.

أما الأواني الفخارية، فيمكن تصنيفها إلى أربع مجموعات<sup>3</sup>:

- (1) أواني الطهي: تشمل أنواع القدور المختلفة والجفن والطاجين والكسكاس.
- (2) أواني الأكل: تتضمن أنواعاً مختلفة من الصحون، تختلف من حيث العمق والشكل، وأشهرها المترد.

<sup>1</sup> L. Homo, OP. Cit, P 255.

<sup>2</sup> محمد الهادي حارث، مرجع سابق، ص 123.

<sup>3</sup> محمد الهادي حارث، مرجع سابق، ص 123.

(3) أواني الشرب: تشمل الفناجين، الأقداح، الأباريق، والكؤوس.

(4) أواني التخزين: تشمل الجرار بأحجام وأشكال متنوعة.

ثانياً: صناعة الملابس والحلي:

### 1. الملابس:

استخدم المغاربة القدامى عدة أنواع من الملابس، مثل الجلباب والمعطف، وكانوا يرتدون تحت المعطف سترة وملابس داخلية خفيفة. أحياناً كانوا يكتفون بسترة توثق بحزام حول الوسط أو بجلباب قصير. كانت الجلابيب تُلبس تحت المعطف، وكان المعطف يصنع من الصوف، بينما تصنع الجلابيب من القماش، ولكنها أحياناً تصنع من الصوف أيضاً، الذي كان المادة الأكثر استخداماً في الملابس المغاربية. من بين الملابس المحلية المشهورة أيضاً البرنس (البرنوس)، الذي كان يُنسج عادة من الصوف الأبيض<sup>1</sup>.

### 2. الحلي:

عُثر في القبور على الكثير من الحلي، منها الخواتم والأقراط والخلاخل والعقود والأساور المصنوعة من معادن مختلفة والزجاج.

ثالثاً: صناعة الأسلحة:

تم التعرف على صناعة الأسلحة من خلال بقاياها في القبور والنصوص النادرة. كان الرمح من أقدم الأسلحة التي استخدمها المغاربة، وهو السلاح الذي ينسب عادة إلى النوميديين والمور. عُثر على بقايا رماح في قبر الخروب، وتظهر المحاربون على النصب الجنائزية في العديد من المواقع يحملون رماحاً. إلى جانب الرمح، ذكر القدامى السكين كسلاح ينسب إلى النوميديين والمور، بينما لم يذكروا السيف بشكل بارز، مما جعل بعض الباحثين يعتقدون بعدم استخدام النوميديين للسيف. ولكن هناك شواهد تدل على استخدام السيف، مثل العثور على سيف ضمن الأثاث الجنائزي في قبر الخروب، ورسوم صخرية في تيراكابين تظهر محاربين يحملون سيوفاً، ونصب معبد الحفرة بقسنطينة<sup>2</sup>.

### 1. الأسلحة الدفاعية:

شملت الأسلحة الدفاعية الخوذ والدروع وواقية الصدر. الدروع، التي كانت تصنع من جلد الفيل، نجدها على الرسوم الصخرية والنصب البونيقية والنوميديية، وكذلك في قبر الخروب. أما واقية الصدر، فقد تحدث عنها سترابون وكانت تُصنع من الجلود<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 124.

<sup>2</sup> نفسه، ص 126.

<sup>3</sup> محمد الهادي حارث، مرجع سابق، ص 127.

## رابعاً: الصناعة النسيجية:

رغم ندرة النصوص التي تتناول صناعة النسيج، فإن القليل المتوفر يشير إلى أن شهرة الأنسجة المغاربية تجاوزت الأسواق المحلية. على سبيل المثال، تحدث مارتياليس عن الجوخ المصنوع من شعر الماعز في لبد، وأشاد فيرجيلوس بالقبعات الليبية المصنوعة من نفس الشعر. كما تحدث سولينوس عن الأقمشة الأرجوانية التي كانت تنافس الأقمشة القادمة من الشرق.

مما سبق نستنتج أن الصناعة في المجتمعات المغاربية قد تأثرت بشكل كبير بالتأثيرات البونية (الفينيقية) والإغريقية (اليونانية)، مما أدى إلى تطورات ملحوظة في مختلف القطاعات الصناعية. الفينيقيون، المعروفون بمهاراتهم الفائقة في الملاحة والتجارة، أدخلوا تقنيات جديدة في صناعة السفن، مما أسهم في تعزيز التجارة البحرية ونقل البضائع عبر البحر الأبيض المتوسط. كما طوروا صناعة الزجاج، حيث أسسوا ورش تصنيع الزجاج في عدة مناطق مغاربية، مما أدى إلى تحسين جودة الإنتاج وزيادة انتشار المنتجات الزجاجية.<sup>1</sup>

## المطلب الثالث: التجارة

كان للتأثيرات البونية (الفينيقية) والإغريقية (اليونانية) دور كبير في تطور التجارة في المجتمعات المغاربية، حيث أسهمت هذه الحضارات في جعل المنطقة مركزاً تجارياً حيوياً في البحر الأبيض المتوسط. الفينيقيون، بفضل مهاراتهم البحرية المتقدمة، أسسوا شبكة واسعة من الطرق التجارية البحرية التي ربطت المدن المغاربية بمراكز التجارة الرئيسية في الشرق الأوسط وأوروبا. أنشأوا موانئ تجارية هامة مثل قرطاج، التي أصبحت مركزاً لتبادل السلع مثل المعادن والزيوت والاعطور والنسيج.

الحديث عن التجارة يؤدي بنا إلى تقسيمها إلى تجارة داخلية وتجارة خارجية. تُعد معرفتنا بالتجارة الخارجية أوسع نسبياً من معرفتنا بالتجارة الداخلية، وذلك لأن اهتمام المؤرخين اللاتين والإغريق كان منصباً على المنطقة عندما تكون على صلة بهم، مما يجعل دراسة التجارة الداخلية تحدياً. ومع ذلك، يمكننا الافتراض أن المنطقة اعتمدت على نمطي الحياة الزراعية والرعية، مما أسفر عن فائض في الإنتاج في كلا النمطين. بعد تخزين احتياجاتهم السنوية ودفع الضرائب، كان المزارعون يبيعون الفائض، وكان الرعاة يمتلكون فائضاً من الجلود والصوف. أما الحرفيون في المدن، فقد قدموا للفلاحين أدوات العمل، وبذلك تكاملت احتياجات المجتمع من منتجاتهم.<sup>2</sup>

المديون يقدمون للفلاحين أدوات العمل. تُنظم الأسواق على شكل معارض أسبوعية في بعض المدن، حيث يتجمع الناس لشراء وبيع ما يحتاجون إليه من مواد وأدوات. ومن بين المدن التي كانت تلعب دوراً مهماً في التجارة الداخلية،

<sup>1</sup> نفسه، ص 128.<sup>2</sup> محمد الهادي حارث، مرجع سابق، ص 128.

نجد باجة التي كانت سوقاً كبيراً للحبوب، وسيكا في إقليم إنتاج القمح، وقيرطا التي كانت سوقاً أساسياً يرتادها الناس من مختلف الأقاليم<sup>1</sup>.

إلى جانب التجارة المحلية البرية، كانت هناك عمليات صرف تقوم بها بعض المدن التي تلبى احتياجات الحركة التجارية الكبرى، حيث كانت تصرف إنتاجها نحو المراكز الكبرى لضمان النقل داخل نوميديا. تكشف النقوش عن العلاقات الإقليمية بين مدن مثل بجاية ويول (شرشال) وقونوقو (قورايا) وبين يول وطنجة، وظل الاتصال البحري بين طنجة ومرسى الكبير قائماً حتى وقت متأخر<sup>2</sup>.

### أولاً: التجارة الخارجية:

استرجع ماسنسان معظم المدن الساحلية، مما جعلها بوابات له على عالم البحر الأبيض المتوسط، وكسر بذلك الاحتكار الذي فرضته قرطاج على بلاد المغرب. ساهم هذا في انتعاش الحركة التجارية التي نفهم من المصادر أنها كانت موجهة، ولكن لا شك في وجود تجارة حرة. عرفت مدن إقليم طرابلس نشاطاً تجارياً كبيراً، وكذلك هيبو- ريجيوس وروسيكاد والقل. بفضل هذه المنافذ والنمو الاقتصادي الذي عرفته نوميديا في عهد ملوكها، توسعت التجارة لتشمل العديد من بلدان البحر المتوسط. تشير البقايا الأثرية، مثل القطع النقدية التي عُثر عليها في يوغسلافيا وبلاد غالة (فرنسا) وإسبانيا وبلاد الإغريق وإيطاليا، إلى هذا النشاط التجاري الواسع<sup>3</sup>.

### 1. الصادرات:

كانت الحبوب تحتل مركز الصدارة في الصادرات النوميديية، ولكنها لم تكن الصادرات الوحيدة. شهدت النصوص التاريخية نشاطاً تصديرياً للحيوانات والمنتجات الحيوانية. من بين الحيوانات التي تحدثت عنها النصوص، نجد الفيلة النوميديية التي استخدمها الرومان في جيوشهم، والعاج النوميدي الذي كان يشتهر بتجارته. كما كانت الخيول جزءاً من الصادرات النوميديية، حيث عقد ماسنسان عدة صفقات مع روما لتزويدها بالخيول.

إلى جانب الحيوانات الكبيرة، كانت هناك حاجة للحيوانات المفترسة في الملاهي الرومانية، مثل الأسود والفهود والضباع والدببة. بالإضافة إلى الحيوانات الموجهة للعراك، كانت المواشي، مثل الأبقار والخيول، وصوف الأغنام وشعر الماعز تُستخدم في صناعة المنسوجات، مما جعلها موضوعاً للتجارة الكبيرة. العسل الأفريقي، الذي اعتُبر من أفضل الأنواع، كان هو الآخر جزءاً من الصادرات النوميديية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> THOUVENOT (R.), « Notes sur les marques d'amphores trouvées à Volubilis », B.A.C.T.H., (1946) ; pp 526-528.

<sup>2</sup> Ibid., P 526-528.

<sup>3</sup> Tacite., Histoires, trad. H. Goelzed, ad. Gal-(130) limard, (Paris 1980), Liv., II. P 59.

<sup>4</sup> Tacite. op.cit, P 62.

### المنتجات الطبيعية:

من بين المنتجات الطبيعية التي كانت تُصدر، نجد الأخشاب المستخدمة في صناعة الأثاث والبناء، مثل العصفية والبلوط الأخضر وأخشاب الأرز. بالإضافة إلى ذلك، كان المرمر يُستخدم في البنايات العامة<sup>1</sup>.

### 2. الواردات:

معرفتنا بالواردات أقل بسبب قلة المصادر التي تهتم بالسلع المصدرة من روما مقارنة بالسلع التي تصل إلى نومديا. ومع ذلك، يمكننا القول استناداً إلى البقايا الأثرية، أن أهم الواردات كانت المصنوعات الفخارية، مثل المصايح والأجر والأنابيب التي عُثر عليها في مناطق مختلفة من بلاد المغرب<sup>2</sup>.

مما سبق نستنتج أن الإغريق والفينيقيين أسهموا في تعزيز هذه الشبكة التجارية من خلال تأسيس مستعمرات تجارية مثل مدينة سيرتا (قسنطينة الحالية)، والتي أصبحت نقاط ارتكاز تجارية وثقافية هامة. جلبوا معهم عمالهم المعدنية، التي ساعدت في توحيد المعاملات التجارية وتسهيلها، بالإضافة إلى تنظيم الأسواق وتقديم مفاهيم جديدة في التجارة مثل الشراكة والتأمين التجاري. هذه التأثيرات المشتركة أدت إلى تنوع البضائع المتداولة في الأسواق المغاربية، مثل الحبوب، النبيذ، الزيت، الفخار، والمعادن، مما عزز من الازدهار الاقتصادي والثقافي في المنطقة.

### خلاصة الفصل:

في الختام، يمكن القول إن التأثيرات البونية والإفريقية كانت حاسمة في تشكيل الأنظمة الاقتصادية للمجتمعات المغاربية، حيث جلبت معها تقنيات جديدة وأساليب متقدمة في الزراعة والصناعة والتجارة. هذه التفاعلات لم تقتصر على النواحي الاقتصادية فحسب، بل تجاوزتها لتعزز من الترابط الثقافي والحضاري بين هذه المجتمعات. لقد ساهمت التأثيرات المشتركة لهذه الحضارات في تحقيق نمو اقتصادي مستدام وتنوع اقتصادي ملحوظ، مما جعل المنطقة

<sup>1</sup> محمد الهادي حارث، التطور السياسي والاقتصادي، د ط، ص 140-142.

<sup>2</sup> نفسه، ص 140-142.

المغاربية مركزًا تجاريًا وثقافيًا مهمًا في العالم القديم. إن دراسة هذه التأثيرات تساعدنا على فهم أعمق للتاريخ الاقتصادي للمجتمعات المغاربية ودورها في شبكة التبادل التجاري والثقافي عبر البحر الأبيض المتوسط.

## الفصل الثالث:

البصمات الخارجية في الحياة  
الدينية والفكرية المغاربية والفنية

## تمهيد:

لطالما كانت منطقة المغرب القديم ملتقى حضارات وثقافات متعددة، حيث تأثرت بشكل كبير بالعوامل الخارجية التي ساهمت في تشكيل هويتها الدينية والفكرية والفنية. عبر العصور، تفاعلت هذه المنطقة مع مختلف الثقافات المجاورة والبعيدة، ما أثرى حياتها بمزيج فريد من التقاليد والمعتقدات والممارسات. في هذا الفصل، سنستعرض تأثير البصمات الخارجية على الحياة الدينية والفكرية والفنية في المغرب القديم، مع التركيز على الآلهة والمعابد والمعابد والكهنوت، وكذلك الطقوس النذرية والجنائزية من ناحية، واللغة والكتابة والعمارة والفنون من ناحية أخرى.

## المبحث الأول: الحياة الدينية

تعد الحياة الدينية في المغرب القديم مرآة تعكس التفاعل الحضاري والثقافي مع العالم الخارجي على مر العصور. فقد تأثرت الممارسات والمعتقدات الدينية في هذه المنطقة بالعديد من الثقافات والشعوب التي مرت بها، مثل الفينيقيين والرومان والوندال وغيرهم. في هذا المبحث، سنستعرض تأثير هذه البصمات الخارجية على مختلف جوانب الحياة الدينية في المغرب القديم، بدءاً من الآلهة والمعبودات التي عبدتها الشعوب المغاربية، مروراً بالمعابد والكهنوت وكيفية تنظيمها، وصولاً إلى الطقوس النذرية والجنائزية التي كانت تمارس في هذه المنطقة. سنسعى من خلال هذا المبحث إلى فهم عمق التأثيرات الخارجية وكيفية دمجها في السياق المحلي لتشكيل هوية دينية فريدة ومتنوعة.

## المطلب الأول: الآلهة والمعبودات

إذا كان البعض يرى أن منطقة المغرب القديم تحتوي على أقدم الوثائق حول أصول الإنسان، فإن الإنسان القفصي أيضاً يبدو من آثاره أنه مارس بعض الشعائر الدينية منذ الألف الرابعة قبل ميلاد المسيح عليه السلام. وعند قدوم الملاحين الفينيقيين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد، كانت في بلاد المغرب مواقع مقدسة كثيرة تُعبد فيها آلهة أهلية<sup>1</sup>.

وإذا كان المغاربة قد عبدوا الشمس والقمر كما ذكر هيرودوت في العصور اللاحقة، فإن الشمس والقمر ظلاً يتصدران النصب الجنائزية في مواقعهم الأثرية حتى في الفترة الرومانية، مما يدل على عمق تأثيرها في صفوف الأهالي. حديث هيرودوت عن عبادة الليبيين للشمس والقمر ومعرفتنا للصلة الوثيقة بين هذين المعبودين وبعل حمون وتانيت المعبودين في قرطاج، يجعلنا نتساءل عن أصول المعبودين الأخيرين، إن لم يكونا من أصول محلية. وقد نجد في نصوص معبد الحفرة ما يدعم هذه الفكرة، بالإضافة إلى التشابه في اللفظ بين "نيت" التي عبدها المصريون باسم "نيت - تهنينو" أي "نيت"، و"تانيت" المعبودة في قرطاج، إذ أنه إذا حذفنا "تا" الدالة على التأنيث في الأمازيغية نحصل على "نيت" التي عبدها المصريون، وهذا ينطبق أيضاً على "الكبش آمون"، الذي يمكننا تتبع الصلة بينه وبين الإله "بعل حمون". يبدو أن ما حدث هو عملية مزج بين المعبود الفينيقي "بعل" والمعبود "آمون" الذي كان يُعبد عند المغاربة قبل قدوم الملاحين الفينيقيين بوقت طويل، وهو ما فعله المصريون عندما مزجوا "رع" المعبود في ممفيس بـ"آمون" عندما انتقل مركز الحكم إلى طيبة، فأصبح "آمون رع"، وكذلك "زيوس آمون" عند الإغريق في قورينة ببرقة، و"جوبيتر آمون" عند الرومان في وقت لاحق<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> البرغوثي عبد اللطيف لرمود : التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي ، ج 1 ، ص 138.

<sup>2</sup> إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر للأمم حضارات الشرق القديم، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 121.

استمرت عبادة هذين المعبودين "بعل حمون وتانيت" بشكل واسع في صفوف الأهالي خلال الفترة الرومانية، واحتفظا بكامل خصائصهما، مع تغيير اسميهما إلى "ساتورنوس" و"أبولون" أو "جوبيتر آمون" بالنسبة لبعل حمون، و"كايليستيس" أو "أفريكا" بالنسبة لتانيت، مما يدعم الفكرة المشار إليها<sup>1</sup>.

إلى جانب "بعل حمون وتانيت"، يمكننا الحديث أيضًا عن "بعل يدر"، الذي طُرحت حول أصوله العديد من التساؤلات. ولكن عدم العثور على إله فينيقي بهذا الاسم في المدن الفينيقية، وتداول كلمة "يدر" في اللغة الأمازيغية، والدالة على الحياة (الإله الحي)، يجعلنا نميل إلى حدوث عملية مزج بين الإله الفينيقي "بعل" والإله "يدر" المعبود عند المغاربة، والذي وُصف في بعض النقوش بالإله الوطني "Genius Patrius" أو "Deus patrius". كما كان العجل "قورزيل" والأسد والتنين "دراكون" مقدسين بأشكال عادية. بالإضافة إلى ذلك، فقد انتشرت عبادة "الملوك" عند النوميديين والموريطانيين كما يُفهم من النصوص، وهي عبادة يرى بيقانيول ضرورة البحث عن أصولها في أقدم المعتقدات المحلية<sup>2</sup>.

وهكذا، يمكننا القول إن المغاربة القدامى كان لديهم قبل قدوم الملاحين الفينيقيين معتقداتهم وطقوسهم الدينية، التي تغيرت شكليًا في العصور اللاحقة. فالكبش، الأسد، الشمس، القمر، والعجل قورزيل، ظلوا يحتفظون بمكانة الصدارة. وحتى إذا تغيرت الأسماء، فإن الجوهر ظل قائمًا دون تغيير، وهو ما يفسر سرعة انتشار عبادتي "بعل حمون وتانيت" المنسوبتين إلى القرطاجيين أو "ساتورنوس وكايليستيس" المنسوبتين إلى الرومان في صفوف الأهالي<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: المعابد والكهنوت

#### أولاً: المعابد:

المعابد التي كانت تُعبد فيها هذه الآلهة ليست أقل تنوعًا ولا أقل أصالة من الآلهة نفسها. فبينما نجد أن قمم الجبال والكهوف كانت تمثل مواقع العبادة الطبيعية الأولى، فإن الأراضي المسورة التي تقام في الهواء الطلق تمثل مرحلة انتقالية بينها وبين المعابد. من بين هذه المعابد، نجد معبد ماسنسان الذي بُني في دوقة في عهد مكوسان، ومعبد الحفرة في قيرطا الذي يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد. من اللافت أن هذه المعابد، وحتى التي أنشئت في العهد الإمبراطوري، احتفظت بأصالتها وبعدها عن العمارة الإغريقية-الرومانية بحسب رأي البعض<sup>4</sup>.

#### ثانياً: الكهنوت:

للسهر على احترام العادات والشعائر الدينية، يجب أن تتوفر هيئة كهنوتية ليبية. ورغم أن هيرودوتس لم يقدم معلومات كثيرة عن هذه الهيئة، فإن نقوش معبد الحفرة توحى بانتظامها. توجد إشارات إلى الكاهن وكبير الكهنة، وكذلك

<sup>1</sup> عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب القديم، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 153.

<sup>2</sup> عبد الحميد عمران، الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر (305 411 م)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، ص 37.

<sup>3</sup> عثمان الكعك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 32.

<sup>4</sup> محمد الهادي حارث، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، ص 148.

الكاهنة وكبيرة الكاهنات، مما يدل على تنظيم هذه الهيئة. في وقت لاحق، تحدث كوربيوس عن الملك "ايرنا" من قبيلة لواتة في القرن السادس الميلادي، مذكورًا أنه كان ملكًا وكاهنًا للإله "قورزيل"، مما يشير إلى وجود هيئة كهنوتية منظمة في الديانة الليبية، حيث لعبت المرأة دورًا هامًا، كما يتضح من وظيفة رئيسة الكاهنات في نصوص معبد الحفرة التي تعود إلى ما بين القرن الثالث والأول قبل الميلاد<sup>1</sup>.

### ثالثًا: العبادة:

تفهم بعض النقوش والنصوص وجود أعياد دينية يحتفل بها في كامل إفريقيا. فالنص الذي ذكره سالوستيوس يتحدث عن احتفال مبدل في كامل إفريقيا، وهناك نقوش عثر عليها في دوقة تشير إلى "اليوم السعيد والمبارك"، ونقش آخر يشير إلى يوم نعيم ومبارك من معبد تبرسوق. الاحتفال الذي يقام على شرف أثينا (تانيت؟) حول نهر تريتون يشير إليه هيروودوتس أيضًا. أما الطقوس التي كان المغاربة يقيمونها في المعابد المخصصة لألهتهم، فيمكن الإشارة إلى قدوم المخلصين إلى المعابد وتقديم الأضاحي. أشار هيروودوتس إلى الأضاحي الجارحة منذ القرن الخامس قبل الميلاد، مشيرًا إلى أنها كانت تقدم وفق مراسيم محددة. ومن ضمن القرابين، يجب ذكر بواكير الفواكه مثل الرمان والعنب، وأحيانًا حلويات بأشكال مختلفة، وبعض السوائل مثل الخمر والزيت والعمور، بالإضافة إلى بعض الأشياء التي تستخدم لتزيين أو تأثيث المعابد مثل المصابيح<sup>2</sup>.

### المطلب الثالث: الطقوس النذرية والجنائزية

كان تنوع القبور في المغرب القديم كبيرًا. البعض منها كان عبارة عن غرف محفورة في الصخر، والبعض الآخر مبني بأحجار ضخمة تُعرف بـ"الدولن". أما قبر مكتر الذي اكتشفه بوفيلي (M.D Pauphilet) فهو نموذج فريد من القبور الميغاليثية، حيث يتكون من سلسلة من الغرف المرتبة فوق بعضها البعض، مغلقة بالكامل. كل غرفة منها مسبقة بمدخل يتصل بها عبر ممر محفور تحت الواجهة. هذا المدخل مفتوح على فناء مغطى يمكن الوصول إليه عبر درجات. كانت طريقة الدفن في الدولن تشمل المدخل والفناء المخصصين للعبادة، بينما تستقبل الغرف القرابين الموجودة في الفخاريات<sup>3</sup>.

توجد أنواع أخرى من القبور في شكل أبراج مستديرة أو بناء هرمي يغطي الضريح. النوع الأول يُعرف بـ"الشوشت" (Chouchet) والثاني بـ"البازينة" (Bazina) بينما كانت "الحوانيت" (Haouanet) والقبور الميغاليثية توجد في المتل فقط، فإن "الشوشت" و"البازينة" كانت تنتشر في التل والصحراء. وربما تطورت هذه الأشكال البسيطة إلى القبور الملكية الضخمة التي تُعرف بالمدغاسن وقبر الرومية، والتي تعود إلى النهضة الملكية النوميديّة-الموريطانية في القرون الأخيرة لما قبل الميلاد. استمر المغاربة في استخدام هذا الطراز في القرن السادس الميلادي، كما

<sup>1</sup> محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، ص 148.

<sup>2</sup> نفسه، ص 149.

<sup>3</sup> J. Gascou, Les magistratures de la Confédération cirtéenne, BCTHS n.s., 17, 1981, pp. 314-316.

يظهر في جدارات تيهرت، التي تعتبر شكلاً من الأهرامات على قاعدة مربعة، حيث احتوت على جثث أمراء موريطانيين. أما ضريحاً الخروب ودوقة فقد خضعا لتأثيرات بونيقية أو إغريقية.<sup>1</sup>  
(أنظر الملحق رقم 09 و10).

### المبحث الثاني: الحياة الفكرية والفنية

تلعب الحياة الفكرية والفنية دوراً أساسياً في تشكيل الهوية الثقافية والحضارية لأي مجتمع، والمغرب القديم ليس استثناءً. فبفضل موقعه الجغرافي الاستراتيجي، كان المغرب القديم محط تفاعل وتلاقح مع العديد من الحضارات المجاورة والبعيدة، مما أثر بشكل كبير على تطور الفكر والفن في المنطقة. في هذا المبحث، سنسلط الضوء على تأثير البصمات الخارجية على الحياة الفكرية والفنية في المغرب القديم، من خلال دراسة اللغة والكتابة التي تأثرت باللغات المختلفة التي دخلت المنطقة، وكذلك العمارة والفنون التي تعكس التمازج الثقافي والابتكار. سنحاول فهم كيف تفاعلت هذه العوامل الخارجية مع العناصر المحلية لتشكيل مشهد ثقافي وفني غني ومعقد يعكس التنوع والانفتاح الذي ميز المغرب القديم عبر العصور.

#### المطلب الأول: اللغة والكتابة

##### أولاً: اللغة:

اللهجات القبائلية والشاوية والميزابية والسنوية والتارقية والمشلحية المنتشرة حالياً في الجزائر والمغرب الأقصى تُشتق من اللغة الليبية القديمة، التي كانت اللغة المشتركة لأسلافنا في المنطقة الممتدة من سيوة شرقاً إلى جزر الكناري غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى مالي والنيجر جنوباً، والمعروفة لدينا بالأمازيغية. ورغم التحديات الزمنية والمنافسة من اللغات الدخيلة كالفينيقية، واللاتينية، واليونانية، ما زالت هذه اللغة تُستخدم اليوم، لكنها تواجه خطر الاندثار والانقراض أمام زحف المدرسة ووسائل الإعلام والمركزية الإدارية. إن لم نبذل جهداً لإنقاذها، سنفقد جزءاً من التراث الوطني الذي يعتز به كل أبناء المنطقة المغاربية.<sup>2</sup>

##### ثانياً: الكتابة:

في المنطقة المغاربية، كانت هناك كتابة خاصة استخدمت من قبل الممالك المحلية والمواطنين. تحتوي هذه الكتابة، التي تُعرف بالكتابة الليبية وأحياناً النوميديّة، على ثلاثة وعشرين حرفاً وفقاً لما ذكره الأسقف فولجانتوس (Fulgentius) وقد اشتقت منها الكتابة التيفيناغية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> F. Decret & M. Fanta, L'Afrique du nord dans l'antiquité, Paris, Payot, 1981, p 56.

<sup>2</sup> Salem Chaker, La situation linguistique dans le Maghreb antique, libyca, (1980-1981), p 22.

<sup>3</sup> Mansour Chaki, « La répartition des inscriptions libyques » REPPAL Tunis : Institut National du Patrimoine, 1995, p 18.

أول وثيقة ليبية مؤرخة بدقة هي نص دوقة المزدوج - بونيفي - لبي، وهي كلمة إهدائية من معبد أقيم لما سنسان في السنة العاشرة من حكم ابنه مكوسان، أي سنة 139 ق.م. تم العثور على نقش مزدوج آخر في نفس المنطقة يخلد إقامة ضريح يعود لنفس الفترة، إلى جانب نصوص ليبية أخرى مرتبة في خطوط أفقية. وفي الفترة الرومانية، لم تحتف الكتابة الليبية. تم العثور على العديد من النصب الليبية أو اللبية - البونيقية الجديدة أو اللبية اللاتينية. استمرت هذه الكتابة حتى نهاية العصور القديمة، مع النقوش الصخرية الليبية - البربرية التي وُجدت في جنوب وهران، المغرب الأقصى، إقليم طرابلس، برقة، وأماكن متفرقة من الصحراء. يرى جيمس فيفري أن هذه النقوش تقدم شكلاً من الكتابة الانتقالية بين الكتابة الليبية والكتابة التيفيناغية<sup>1</sup>.

على الرغم من أن كتابة الطوارق مشتقة من اللبية القديمة، إلا أن بعض حروف "التيفيناغ" لا تُنطق بنفس الطريقة التي تُنطق بها الحروف الليبية التي تماثلها في الشكل، وبعض الحروف الأخرى لا توجد في الكتابة القديمة. تم استخدام النقشين المزدوجين المذكورين كقاعدة لفك رموز الكتابة الليبية بدءاً من أسماء الأعلام<sup>2</sup>. من العلماء الأوائل الذين ساهموا في ذلك يمكننا ذكر سونسي (Salcy)، جوداس (Judas)، هالي (J. Haley)، شابو (J. B. Chabot)، مينهوف (C. Meinhof)، وجورج مارسي (Marcy). أما عن اتجاه الكتابة الليبية، فهو متغير؛ ففي نقوش دوقة، نجد الحروف مرتبة بشكل أفقي تقرأ من اليمين إلى اليسار ربما بتأثير من الكتابة البونيقية، وفي حالات أخرى نجد الكتابة موضوعة في صفوف عمودية تقرأ من الأسفل إلى الأعلى والبداية من اليسار. يرى فيفري أن الكتابة العمودية أقدم من الكتابة الأفقية، وأن الانتقال من الكتابة العمودية إلى الأفقية تسبب في تغيير اتجاه الحروف. في الكتابة التيفيناغ، نجد الاتجاه من اليمين إلى اليسار تأثراً بالحرف العربي<sup>3</sup>.

### ثالثاً: أصل الكتابة الليبية:

تُعتبر الكتابة الليبية كتابة صوتية تماماً، وليست مقطعية، وهي أبجدية حقيقية تحتوي على عدد قليل من الحروف الصامتة فقط. هذا الأمر حير الباحث قزال الذي تساءل إذا كان السكان المحليون استخدموا نظاماً تصويرياً قبل أن يتطور لاحقاً إلى علامات صوتية. بعد استبعاد هذه الفرضية، تساءل عن الرموز التي تظهر على الرسوم الصخرية والتي تشبه الأبجدية الليبية إذا كانت عناصر كتابية. قزال افترض أن الأفارقة ابتكروا هذه الأبجدية دون تأثير أجنبي، لكنه تراجع عن هذا الافتراض بسبب اعتقاده بعدم قدرة الأفارقة على هذا الإبداع، ورأى أن الكتابة قد تكون تأثرت بأبجديات أجنبية مثل الفينيقية أو اليونانية القديمة أو العربية القديمة، لكنه استبعد هذه الفرضيات لأسباب مختلفة. في النهاية، اقترح قزال احتمالين:

(1) الأبجدية الليبية لم تشتق مباشرة من الأبجدية الفينيقية، بل كلا الأبجديتين اشتقتا من أبجدية قديمة مشتركة.

<sup>1</sup> Salem Chaker, OP Cit., p 26.

<sup>2</sup> Lionel Galand, Les Alphabets Libyques. Ant, Afr, 1989, p 46.

<sup>3</sup> Lionel Galand, OP Cit., p 49.

(2) الأفارقة تبنا "نظام كتابة" يركز على استخدام عدد قليل من الرموز البسيطة، مع تبنى أربعة أو خمسة حروف فقط من الفينيقية.

الباحث فريدريك J. Friedrich يرى أن الكتابة الليبية نشأت بشكل مستقل، ولا تربطها بالكتابات السامية إلا المبادئ الأساسية. استدل على ذلك بعدم تطابق الحروف الليبية مع الحروف السامية إلا في حروف محدودة، وأن الكتابة الليبية تدون الحروف الساكنة الأولية، وترتيب الحروف من الأسفل إلى الأعلى، مما يدل على أصالتها.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: العمارة والفنون

#### أولاً: العمارة:

عند الحديث عن العمارة في البلاد المغاربية القديمة، تتبادر إلى أذهاننا العمارة الرومانية، حيث أن كثرة الآثار العائدة لهذه الفترة تغطي على آثار ما قبل الرومان. بالإضافة إلى ذلك، كثيراً ما نجد هذه الآثار مبنية فوق بقايا الفترة السابقة، مما يجعل البحث عنها يتطلب التضحية بالآثار الرومانية، وهو ما لم يكن يخدم أغراض المدرسة الأثرية الاستعمارية. نتيجة لذلك، ظلت تقنيات العمارة النوميديّة مجهولة تقريباً بعد أكثر من قرن ونصف من البحث الأثري، مما يوحي بغياب عمارة مغاربية أصيلة. ومع ذلك، فإن الآثار المنتثرة في البلاد المغاربية تؤكد وجود عمارة محلية متطورة.<sup>2</sup>

#### 1. النماذج المتبقية من العمارة النوميديّة:

تتمثل في المعابد والأضرحة التي تقع خارج المدن، مما يفسر بقاؤها في حين اندثرت المباني الأخرى أو طمرت تحت المباني الرومانية. وفي هذه الدراسة يمكننا التطرق إلى<sup>3</sup>:

- المعابد
- الأضرحة الملكية النوميديّة

#### 2.1. المعابد:

##### ❖ معبد شمتو:

يعد هذا المعبد النموذج الوحيد للفترة النوميديّة، وقد بُني على يد الملك مكوسان على بعد عشر مراحل من المدينة الملكية بولا-ريجيا على أعلى قمة جبل المرمر. تتجاوز مقاساته 39.45 على 8.50 متر، ويظهر العمل الدقيق ومواد البناء المستخدمة، مثل المرمر، قدرة البنائين. يعتبر المعبد بارتفاع حوالي 10 أمتار ومقام على قاعدة من ثلاثة طوابق. يتميز بواجهة موجهة نحو الشرق ودرع بيضوي رفيع في الجهة الغربية، مما يختلف عن الدرّوع المنقوشة في

<sup>1</sup> Lionel Galand, OP Cit., p 52.

<sup>2</sup> Ward-Perkins JB, Roman imperial architecture, New Haven, London : Yale University Press, 1994, pelican history of art, PP. 97-120.

<sup>3</sup> Ibid.

الواجهة المركزية. تم توسعة المعبد في القرن الثاني الميلادي ليصبح معبدًا لساتورنوس، قبل أن يتحول إلى كنيسة مزينة بالفسيفساء في القرن الرابع<sup>1</sup>.

● **معبد القلب:**

حاول فريديريك راكوب وضع مخطط لهذا المعبد اعتمادًا على بقايا القطع الزخرفية، وتوصل إلى أن هذه القطع يمكن أن تعاد بها بناء معبد بطول 11 مترًا على الأقل<sup>2</sup>.

❖ **الأضرحة الملكية النوميديّة:**

إذا كان المعبدان السابقان فريدين في نوميديا، فإن بصمة التقاليد المعمارية النوميديّة تتجلى بوضوح في الأضرحة الملكية التي تطورت عن القبور المخروطية (بازينا) والأبراج الجنائزية (الشوشت). وتعد هذه الأضرحة منتشرة عبر الزمان والمكان، من المدغاسن الذي يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد في الأوراس، إلى قبر الغور في القرن السابع الميلادي في المغرب الأقصى، مرورًا بقبر الرومية في القرن الأول قبل الميلاد وجدارات تيهرت في القرن الخامس الميلادي<sup>3</sup>.

● **المدغاسن:**

يعد المدغاسن أقدم نموذج للعمارة النوميديّة، حيث بني على ارتفاع عشرين مترًا إلى الشمال من الأوراس بين هضبة جبل عازم وجبل تفرات. يتميز المدغاسن بأصالته في هيئته الأساسية وحجمه. ورغم أن قرال يرى أن المدغاسن منخفض بالمقارنة مع قطره، فإن كومس يعتقد أن المدغاسن ينتمي إلى فصيلة البازينات ذات القاعدة الأسطوانية القليلة الارتفاع بالمقارنة مع قطرها، ويعتبره أكثر أصالة ورونقًا مما لو كان أكثر ارتفاعًا.

يبدو المدغاسن من الخارج مكونًا من قسمين: قاعدة أسطوانية بارتفاع أقل من خمسة أمتار، وطوق مكون من درجات (Gradins) تشكل المبنى على هيئة مخروطية، وعددها ثلاث وعشرون درجة. بين الدكة الثالثة والرابعة يوجد المدخل المؤدي إلى السلم، الذي يقود إلى رواق طوله 17 مترًا ينتهي عند باب خشبي كبير يؤدي إلى الغرفة الجنائزية بأبعاد 3.30 متر × 1.59 متر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Ward-Perkins JB, Op Cit., PP. 97-120.

<sup>2</sup> Sear, Frank, 1983, Roman Architecture, Ithaca, New York, Cornell University Press, PP. 49-68.

<sup>3</sup> Sear, Frank, loc. cit.

<sup>4</sup> Ibid, PP. 49-68.

## ● قبر الرومية:

وصف المؤرخ الروماني بومبونيوس ميلا في القرن الأول الميلادي قبر الرومية بالضريح الملكي العائلي المشترك (Monumentum Commune regiae gentis)، ويشترك مع المدغاسن في العديد من العناصر. أقيم على قاعدة مربعة وينتهي بطوق يعطيه الشكل المخروطي، بقطر حوالي 64 متراً وارتفاع حالي 33 متراً، ويمكن أن يكون ارتفاعه الأصلي قد بلغ أربعين متراً. الجزء الأسطواني مزين بأفريز عادي ومدعوم بستين عموداً أيونياً، وتنتهي الجهات الأربع بأربعة أبواب وهمية محاطة بإطارات، تعلوها أسطح معمدة. كان اثنان وخمسون من الأعمدة مزينة بنحلات على تيجان الأعمدة الثمانية المتصلة بالأبواب الوهمية<sup>1</sup>.

## ● الجدارات:

توجد هذه المباني الثلاثة عشر المحاطة بقبور صغيرة، مقامة على قاعدة مربعة، لكنها ذات مخطط مستطيل يعلوها طوق بدرجات تعطيه شكلاً هرمياً، مما يقربها من البازينة المدرجة ذات الزوايا المربعة. أكبر هذه الجدارات هو قبر الكسكاس الذي يبلغ طوله 43 متراً وعرضه 15 متراً، يحتوي على ممر مزود بدرجين ملتويين وقبوين متصلين ببعضهما، ومجموعة من الغرف. الجدارات "أ" و"ب"، الأقدم، يقدمان ترتيبات داخلية مختلفة، حيث ينقسم الممر إلى فرعين ملتويين دون اتساع، يؤديان إلى طريق مسدود في المبنى "أ"، وإلى غرف مستطيلة في المبنى "ب"، مما يشير إلى إمكانية وجود القبر الرئيسي في النواة المركزية للمبنى أو في خندق<sup>2</sup>.

## ❖ الأبراج الجنائزية الملكية النوميديّة الهيلينستية:

## ● ضريح صبراتة:

مسامات، متأثراً بالأساليب المصرية واليونانية، مما جعله يُصنف كأحد النماذج الهيلينستية الشاذة. صبراتة كانت جزءاً من مملكة نوميديا بعد معركة زاما، مما يشير إلى أن الضريح بُني في عهد هذه المملكة<sup>3</sup>.

## ● برج سيقا:

بعد بضعة سنوات من بناء ضريح صبراتة، بُني ضريح كبير في سيقا، عاصمة سيفاكس، يشبه ضريح صبراتة لكنه يختلف عنه في المقاسات وطريقة الدعم. يتكون من عشر غرف جنائزية، مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأنه كان مهياً لعدة قبور. يُعتقد أن الضريح كان في الأصل لفيرمينا ابن خليفة سيفاكس، الذي توفي في الأسر في روما<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> De Laine Janet, Expérimentation structurale : l'arche de linteau, le corbeau et la cravate dans l'architecture romaine occidentale », World Archaeology, 1990, No. 21, PP. 407–424.

<sup>2</sup> Ibid.

<sup>3</sup> DeLaine Janet, Op Cit., PP. 407–424.

<sup>4</sup> DeLaine Janet, loc.cit.

• ضريح دوقا:

تتمثل جمالية ضريح دوقا في أفضل مثال للضرائح الملكية النوميديّة، حيث يتألف من ثلاثة طوابق محفوظة بشكل كامل. يتميز الضريح بتصميم زاوي مزخرف بأعمدة تيجان إيونية واسعة الفوهة، مع زخارف لأزهار اللوتس تتماشى معها. يحتوي الطابق الأول على نافذة مغلقة تؤدي إلى غرفة جنازية، بينما تزين الواجهات الأخرى بنوافذ وهمية. الطابق الثاني يتألف من ثلاث دكات، مع أعمدة مضلعة ونوافذ مغلقة على الواجهات الشمالية والشرقية. الطابق الثالث يبدأ بالدكات ويتخللها قواعد تماثيل تحمل فرساناً، مع زخارف لأعمدة تيجان بأزهار اللوتس ونقوشات تمثل مركبة مرصعة. القمة تتوج بتماثيل نسائية مجنحة وأسد جالس على رجليه الخلفيتين. تحتوي الطوابق الأول والثاني على أربع غرف مربعة، بينما تتكون الطابق الثالث من غرفتين مستطيلتين متصلتين ببعضهما ومحاطات بحيطان مشكاة<sup>1</sup>.

• ضريح الخروب:

أما ضريح الخروب، فهو يقع على هضبة صخرية تتألف من أحجار ضخمة جيدة الصقل، مع قاعدة ضخمة وقوائم تحمل قاعدة قصيرة مزخرفة. يتميز الضريح بأربع كتل مزخرفة بدرع مستديرة على زوايا مربعة، ويحيط بأربعة أبواب وهمية. تم تدمير الجزء العلوي من المبنى، ولكن يعكس القاعدة الكاملة تصميمًا معقدًا، مع غرفة جنازية تحت الأرض مغطاة ببلاطات من الحجر. تظهر الزخارف الهندسية والرموز الإنسانية والحيوانية على الأنية والنقوش، مما يدل على التنوع الفني في المنطقة<sup>2</sup>.

أما الفنون الصغرى في المنطقة تعد تعبيراً عن غنى الحضارة الفنية في تلك الفترة، حيث تتنوع من النقوش إلى النحت والرسم على الفخار. تعتبر العناصر الزخرفية المستخدمة في هذه الفنون مؤشراً على التطور الفني والذوق الرفيع الذي كان يتمتع به الفنانون والحرفيون في تلك الحقبة. على سبيل المثال، تكشف النقوش الناتجة المسطحة في مناطق مثل سيقوس وسيلا عن جمالية متجاوبة مع التجريد، حيث يظهر الرغبة في التعبير الفني بأسلوب مبسط ومنغمس في تفاصيل دقيقة تعكس الحياة والثقافة في تلك الفترة. تمثل هذه النقوش صورة واقعية للحياة اليومية والمشاهد الطبيعية والعناصر الثقافية والدينية، مما يمنحنا نظرة شاملة عن الفن في بلاد المغرب قبل تأثير الحضارة الرومانية<sup>3</sup>. (أنظر الملحق رقم 10).

<sup>1</sup> Jean-Pierre Adam, La Construction romaine : matériaux et techniques, Paris, Picard, coll, Grands manuels Picard, 1984, P. 367.

<sup>2</sup> Jean-Pierre Adam., p 370.

<sup>3</sup> Carmelo G. Malacrino, Constructing the Ancient World : architectural techniques of the Greeks and Romans, Getty Publications, 2010, P. 216.

## خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل، تبين لنا كيف أن البصمات الخارجية لعبت دوراً محورياً في تشكيل الحياة الدينية والفكرية والفنية في المغرب القديم. تفاعل المنطقة مع مختلف الثقافات أسفر عن إرث ثقافي غني ومعقد يعكس التنوع والثراء الحضاري الذي تتمتع به هذه المنطقة. إذ نستنتج أن تأثيرات العوامل الخارجية لم تقتصر على إضافة عناصر جديدة، بل ساهمت في إعادة تشكيل وتطوير الهويات المحلية بطرق مبتكرة ومتميزة.

الملحق رقم 9



(أ)



(ج)



(ب)

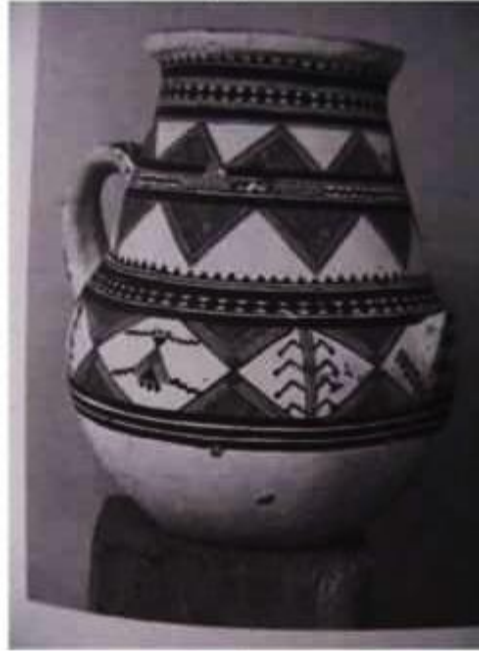
- رمز المسيحية في النصب والنقوش ببلاد المغرب القديم
- ( أ ) : رمز المسيحية على مصباح من دوقة .
- ( ب ) : شاهد نذري في حديقة متحف مينارف بتبسة .
- ( ج ) : نصب يحمل رمز المسيحية محفور بالأزهار .

نقلا عن : ( أ ) : Yann Le Bohec , Op.-Cit.,P.XLIII . ( ب ) : تصوير الباحثة ،

( ج ) : Serge Lancel , Op.-cit. , P.42 .



(أ)



(ب)

(أ) : إباء من تيبس عاصمة الخزف في التومبيين .

(ب) : إريق فخاري مزين بزخارف هندسية بني على أبيض .

نقلا عن : Serge Lancel , L'Algérie Antique , P.35 .

- عاريل كلمس ، الربيع ، ص . 69 .

الخاتمة

الخاتمة:

أغلب الدراسات تشير إلى أن ظهور الممالك الوطنية ما بين القرنين الثالث والأول قبل الميلاد، وتأثر هذه الممالك بالحروب البونية وموقفها من الصراع في إطار التحالفات والرفض والمقاومة، والحفاظ على كيانها السياسي والعسكري والاجتماعي.

ويمكن القول إن التأثيرات البونية والإغريقية كانت حاسمة في تشكيل الأنظمة الاقتصادية للمجتمعات المغاربية، حيث جلبت معها تقنيات جديدة وأساليب متقدمة في الزراعة والصناعة والتجارة. هذه التفاعلات لم تقتصر على النواحي الاقتصادية فحسب، بل تجاوزتها لتعزز من الترابط الثقافي والحضاري بين هذه المجتمعات. لقد ساهمت التأثيرات المشتركة لهذه الحضارات في تحقيق نمو اقتصادي مستدام وتنوع اقتصادي ملحوظ، مما جعل المنطقة المغاربية مركزاً تجارياً وثقافياً مهماً في العالم القديم. إن دراسة هذه التأثيرات تساعدنا على فهم أعمق للتاريخ الاقتصادي للمجتمعات المغاربية ودورها في شبكة التبادل التجاري والثقافي عبر البحر الأبيض المتوسط.

كما أن البصمات الخارجية لعبت دوراً محورياً في تشكيل الحياة الدينية والفكرية والفنية في المغرب القديم. تفاعل المنطقة مع مختلف الثقافات أسفر عن إرث ثقافي غني ومعقد يعكس التنوع والثراء الحضاري الذي تتمتع به هذه المنطقة. إذ نستنتج أن تأثيرات العوامل الخارجية لم تقتصر على إضافة عناصر جديدة، بل ساهمت في إعادة تشكيل وتطوير الهويات المحلية بطرق مبتكرة ومتميزة.

• نتائج الدراسة:

بعد دراستنا للموضوع نستنتج ما يلي:

- \_\_ إهمال الكتابات الكلاسيكية واختلافاتها وعدم دقتها في تحديد الجذور التاريخية للممالك الوطنية.
- \_\_ وجود ممالك وطنية تطورت عبر مراحل فرضتها عوامل وتحديات من خلال العلاقات التجارية والثقافية.
- \_\_ التأثير الخارجي في مظاهر حضارة الممالك أفرز نظم سياسية بحيث ظهور النظام الملكي بعد أن كان النظام القبلي هو السائد، أما النظام العسكري ومنه الجيش الذي كان طرف صراع خصوصاً في الحروب البونية، كما استعمل أسلحة لتسيير تشابه الشعوب المجاورة، كما كان هذا الجيش في خدمة الملوك وفرض النظام الداخلي والدفاع عن حدود المملكة.
- \_\_ تأثيرات الحضارة البونية والإغريقية في تركيبة المجتمع المغربي القديم ونشاطاته الاقتصادية كالتجارة والزراعة والصناعة، وإدخال أساليب جديدة وتقنيات في ميدان الزراعة والصناعة نتيجة العلاقات الخارجية.
- \_\_ تأثر الممالك بالديانات والكتابات للشعوب المجاورة وكذلك في مجال العمارة والفنون من خلال التأثير بالكتابة الفينيقية وحروفها، مع الاحتفاظ بخصوصيات الكتابة المحلية.
- \_\_ وأخيراً رغم التأثيرات الخارجية في مظاهر حضارة الممالك الوطنية ما بين (220-46 قبل الميلاد)، إلا أن هذه التأثيرات امتزجت بالتأثيرات الداخلية لتجعل من حضارة الممالك الوطنية حضارة امتدت جذورها في التاريخ لتساهم في التراث الإنساني لشعوب المنطقة.

# المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

أ- العربية:

1. بطليموس كلاوديوس، جغرافية ليبيا ومصر، تر: محمد المبروك الدويب، دار العلم، القاهرة، 2003.
2. سترابون، 2003، جغرافية، ك 17، 3، 7، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002.

ب- الأجنبية:

1. Appien, Iberique, Trd: Paul Goukowsky, Les Belle Lerrtres, Paris, 2003.
2. Apuleius, métamorphose, IX, trd, H-V, Betolaud, Garnier, Paris, 1938.
3. César, Guerre d'Afrique, trd. A. Bouvet, Ed Pierre Fabre, Paris, 1949.
4. de Sicile Diodore, bibliothèque Historique, Liv XX, 55, 4, trd: A .F. Miot, Paris, 1934.
5. Hérodote, Histoire, Liv IV, trd : Pierre-Heneri Larcher, T 1. Ed Charpenter, Paris, 1850.
6. Live Tite, Histoire Romaine, Liv XVII, Trd: M. Nisard, T2, Frmin Didot Frères, Paris, 1864.
7. Maxime Valère, Faits et dits mémorables, Liv I, 2, trd. R.Combes, Garnier, Paris, ..1995
8. Méla Pomponius, Géographie, Liv I, 6, trd: M, Louis purosor, Panckoucke, Paris, 1865.
9. Pline L'ancien, Histoire Naturelle, Liv V, trd. J.Désanges, Académie Dr L'Inscriptions et Les Belles Lettres Paris, 1980.
10. Polybe, Histoire romaine, Liv I, trd M. Nicard, J ,J, Du boucher, La Libertaire Militaire, Paris, 1941.
11. Tacite, Histoires, Liv., II, trd. H. Goelzed, Société d'édition "Les Belles lettres, Paris, 1980.

ثانياً-المراجع:

أ - العربية:

1. البرغوثي عبد اللطيف لزمود، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي، ج 1 منشورات الجامعة الليبية، طرابلس، 1971.
2. بشي إبراهيم العيد ، تاريخ مختصر للأمم حضارات الشرق القديم، دار هومة، الجزائر، 2007.
3. جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

4. جوليان شارل أندريه ، تاريخ افريقيا الشمالية - تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الاسلامي 647-، تر محمد مزاليم ويشير بن سلامة مؤسسة توالث الثقافية، 2011.
5. حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر 2001.
6. حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري - منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992.
7. حارش محمد الهادي، مملكة نوميديا (دراسة حضارية ) منذ القرن التاسع الى القرن الأول قبل الميلاد، الجزائر، 2013.
8. حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي منذ اعتلاء مسينيسا العرش الى وفاة يوبا الاول، 203- 46 ق.م، دار هومة للنشر، الجزائر، 2011.
9. شنيقي محمد البشير، نوميديا الشعب و المملكة في الجزائر النوميديّة، متحف سيرتا، 2007.
10. عقون محمد العربي، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
11. علوات محمد، جغرافية ليبيا القديمة عند سترابون و بطليموس، مجلة آراء و أبحاث في التاريخ والآثار القديمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012.
12. غانم محمد الصغير، المملكة النوميديّة والحضارة اليونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.
13. غانم محمد الصغير ، عقون محمد العربي، بوغناقة محمد الصالح، المقاومة و التاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 1954 الجزائر، 2007.
14. غاكي منصور، تونس عبر التاريخ، ج 1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005.
15. غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب القديم، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
16. فتيحة فرحاني، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق م 46 ق م، منشورات أبيك، الجزائر، 2007.
17. الكعكع عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
18. المغرب الكبير (العصور القديمة أسسها التاريخية و الحضارية و السياسية) ج 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

1. Adam Jean-Pierre, La Construction romaine: matériaux et techniques, Picard, coll, Grands manuels, Paris, 1984.
2. Alexandropoulos Jacque, les monnaies de L'Afrique antique 400av.j.c-40 ap.j.- c, Presses universitaires du Midi, Toulouse, 2007.
3. Burdeau François & Nicole Charbonnel & Humbert Michel, aspect de l'empire romaine, Presses universitaires de France, Paris, 1996.
4. Camps. Gabriel, Massinissa ou les débuts de l'histoire: aux origines de la berbère, Arts et métiers graphiques, Paris, 1960.
5. Camps- Fabrer Henriette, l'olivier et l'huile dans l'Afrique romain, Imprimerie officielle , Alger, 1952.
6. Carcopino. Jérôme, Le Maroc antique, Ed Galimard, Paris, 1943.
7. Chastgnol . A, l'album municipal de timgad, Habelt, Bonn, 1978.
8. Coltellini-Trannoy Michelle, 1997, Le royaume de Maurétanie sous Juba2et Ptolémée (25av.j.c40 apj.c-), Ed C.N.R.S, Paris, 1997.
9. Dahmani Said, Les Royaumes Numides, L'Algérie au temps des Royaumes Numides Ve siècle av. J-C– 1er siècle AP. J-C), Ed Smogy d'Art, Paris, 2003.
10. Decret François; Fantar Mohammad Hocine, L'Afrique du nord dans l'antiquité histoire et civilisation, des origines au Ve siècle, Payot, Paris, 1982.
11. De lamalle Dureau, Histoire des guerres des Romains, des Byzantins et des Vandales, Librairie de Firmin Didot, Paris, 1852.
12. Desanges J., Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nile dans l'antiquité classique, Dakar, 1962.
13. Frank Sear, Roman Architecture, Ithaca, New York, Conell University Press, New York, 1983.
14. Ghaki Mansour, L'organisation politique et administrative chez les Numides, A la croisée des études libyco-berbère, Mélanges offerts à P. Galand-Pernet et L. Galand, Paris, 1993.
15. Ghaki Mansour, La répartition des inscriptions libyques, Institut National du Patrimoine, Tunis, 1995.
16. Gsell Stephane, Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, T. V, Librairie Hachette, Paris, 1927.
17. Hamdoune Christine, Les auxilia externa africains des armées romaines IIIe Siècle av. j.c.- IV siècle ap.-j.c , Université Paul-Valéry, Montpellier , 1999.
18. Homo Léon, Rome Impériale et l'Urbanisme dans L'Antiquité , Ed Albine Michel, Paris, 1971.
19. Harmand Louis, L'Occident Romain, Gaule, Espagne, Bretagne, Afrique du Nord (31 avant J.-C.-235 après J.-C), Garnier, Paris, 1970.
20. Malacrino. Carmelo G. Constructing the Ancient World: architectural techniques of the Greeks and Romans, Getty Publications, Los Angeles, 2010.
21. Mommsen Théodore, Histoire Romaine, Trd: C. A. Alexandre, T.III, Librairie Franck, Paris, 1865.

22. Mazard Jean, Corpus nummorum Nummidiae Mauretaniaque, Art et Métiers Graphique, Paris, 1955.
23. Piscard. G. Ch & Rougé. J, textes et documents relatifs à la vie économique et sociale dans l'empire romain, Société d'édition d'enseignement supérieur, Paris, 1966.
24. Ponsich Michel; Tarradell Miquel, garrum et Industries antiques de salaison dx dans la mediterrannée occidentale, Presses universitaires de France, Paris, 1965.
25. Thouvent. R, Notes sur les marques d'amphores trouvées à Volubilis, B.A.C.T.H., Chatillon, 1946.
26. Ward-Perkins. J.B, Roman imperial architecture, Yale University Press, London, 1994.

ثالثا: الدوريات

أ- اللغة العربية:

1. مهنتل جهيدة، النوميديون ضحية المصادر القديمة مجلة آراء وأبحاث في التاريخ والآثار القديمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

ب- اللغة الأجنبية:

1. Ait Amara Ouiza, 2008, Les Numides et les Maures possédaient-ils une flotte de Guerre Aquila Legionis, N°X, Espagne, 2008.
2. Bertrand François, A propos du cavalier de simithus chemtou, Ant. Afr, T.22, Paris, 1986.
3. Brizzi Giovanni, Une coutume de guerre des numides: réflexions d'après Quelques épisodes (3) Des compagnes d'Hannibal, Bulletin archéologique du C.T.H.S, N° 24, 1997.
4. Camps. G & Barrère. G, Bouclier, E.B., N°10, 1991.
5. Camps. G, javelot, Encyclopédie Berbère, N° 203, 2003.
6. Camps. G, Les numides et la civilisation punique, Antiquités africaines, N°14, 1979.
7. Chaker Salem, La situation linguistique dans le Maghreb antique, libyca, 1981.
8. Carcopino. J, Syriens de la Numidie romaine, Syria, N° XIV, 1934.
- R. M. Hyood, An Economic Survey pf ancient Rome, Africa, T 4, 1959.
9. Courtois. Ch, Saint sugustin et le problème survivance du punique, Rev. Af, 1950.
10. Fevrier. P, aux origines de l'occupation romaine dans les hautes plines de setif, Les Cahies de Tunisie, 1976 .
11. Gascou Jacque, Les magistratures de la Confédération cirtéenne, Ant. Afric., 19, 1983., N° 17, 1981.

13. Galand Lionel, Les Alphabets Libyques. Ant. Afr, N°25, 1989. De Laine Janet, Expérimentation structurale: l'arche de linteau, le corbeau et la cravate dans l'architecture romaine occidentale, World Archaeology, N°21, 1990.
14. Gsell. S, Vieilles exploitations minières de l'Afrique du nord, Hesperis, N° VII, 1928.
15. Lacroix Frédéric, L'Afrique ancienne, Rer. Afr, N°.14, 1870.
16. Lancel Serge , Suburbures et Nicives, une inscription de Tigisis, in libyca, archéologie épigraphie, T.III, 1955.
17. Lassère Jean-Marie, Africa, quasi Roma, 256 av. J.C-711 ap. J.-C, Études d'antiquités africaines, CNRS éditions, Paris, 2015.
18. Lassère J. M., Le cheval barbe à l'époque antique, E.B, N° 9, 1991.
19. Leschi. L, Cirta de la capitale numide à la colobis romaine, 30 cong. De la fed, des sav. De l'Afrique du Nord, Alger, 1938.
20. Piganiol André, Histoire de Roma, (Clio. Introduction aux Études Historiques. N° 3), L'antiquité classique, N°10-1, 1941.
21. Spruytte .J , Le cheval de race barbe, E.B.,N °9, Paris, 1991.
22. Saumagne .Ch. S, La survivance du punique au V0 au VI0siècle ap J-C , Karthago, IV, 1953.
23. Rachet. M, Rome et les berbères, un problème militaire d'auguste à diocliton, coll. Latomus, Revue belge de philologie et d'Histoire, vol 50, N°1, 1970.
24. Rinn Louis , Les premiers royaumes berbères et la guerre de Jugurtha, Revue Africain, Vol 29, 1885.

رابعاً- المذكرات وأطروحات الدكتوراة:

أ- الماجستير:

1. خليفة عبد الرحمان، الديانة الوثنية المغاربية القديمة من النشأة الى سقوط قرطاج سنة 146ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسنطينة، 2008.
2. عمران عبد الحميد عمران، الحركة الدوناطية بين الانشقاق الديني والتحرر ( 305 411 م)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005.

ب- الدكتوراة:

## المصادر والمراجع

---

1. مها عيساوي، المجتمع اللوي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى حقبة الفتح الإسلامي)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تخصص تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2009.

2. Ait Amara Ouiza, 2007, Recherche sur les Numides et les Maures face à la guerre depuis les Guerres puniques jusqu'à l'époque de Juba 1er, thèse de doctorat, Université de Lyon3,2007

خامسا - أعمال الملتقيات:

1.Ghaki. M, Question autour d'un siècle numide (205-105av.j.c.), Libyca, 2017, N°2, Actes du colloque international La Numidie, Massinissa et l'histoire, Constantine, le 14,15et 16 mai 2016.

يعتبر النظام السياسي والعسكري من أهم العوامل في تطور الممالك الوطنية وتأثيرها على محيطها. يؤثر هذا النظام على العلاقات السياسية والعسكرية مع الجيران، وعلى الاستقرار الداخلي والتأثير الخارجي. تتناول الدراسة نظام الحكم، انتقاله عبر الأجيال، إدارة المملكة، وتنظيم شؤونها. كما تدرس العملة كرمز سيادي ودورها في تعزيز الاقتصاد والتبادل التجاري وتأثيرها على العلاقات الخارجية. يركز البحث أيضًا على دور الجيش، من القوات النظامية لحفظ الأمن الداخلي إلى القوات الاحتياطية لمواجهة التحديات الخارجية، وكذلك تأثير المرتزة في السياسة والعسكرية. كانت التأثيرات البونية والإغريقية حاسمة في تشكيل الأنظمة الاقتصادية في المجتمعات المغاربية، حيث أدخلت تقنيات زراعية وصناعية وتجارية جديدة وعززت الترابط الثقافي والحضاري، مما جعل المنطقة مركزًا تجاريًا وثقافيًا هامًا في العالم القديم. دراسة هذه التأثيرات تساهم في فهم أعمق للتاريخ الاقتصادي للمجتمعات المغاربية ودورها في الشبكة التجارية والثقافية بالبحر الأبيض المتوسط. أثرت البصمات الخارجية في تشكيل الحياة الدينية والفكرية والفنية في المغرب القديم، ما أسفر عن إرث ثقافي يعكس التنوع والثراء الحضاري، وساهم في إعادة تشكيل الهويات المحلية بطرق مبتكرة.

**Summary:**

The political and military system is considered one of the most important factors in the development of national kingdoms and their influence on their surroundings. This system affects political and military relations with neighbors, as well as internal stability and external influence. The study addresses the system of governance, its transition across generations, the administration of the kingdom, and the organization of its affairs. It also examines currency as a sovereign symbol, its role in enhancing the economy and trade exchange, and its impact on external relations. The research also focuses on the role of the military, from regular forces maintaining internal security to reserve forces facing external challenges, as well as the impact of mercenaries on politics and the military. Punic and Greek influences were crucial in shaping the economic systems of Maghreb societies, introducing new agricultural, industrial, and commercial techniques and strengthening cultural and civilizational ties, making the region an important commercial and cultural center in the ancient world. Studying these influences contributes to a deeper understanding of the economic history of Maghreb societies and their role in the commercial and cultural network across the Mediterranean. External imprints influenced the religious, intellectual, and artistic life in the Maghreb, resulting in a cultural heritage that reflects diversity and civilizational richness, and contributed to the reshaping of local identities in innovative ways.